الباب السادس

{ إيران وأمريكا }

الفصل الأول

بين الرغبات الأمريكية والأمانى الإيرانية

قال (برناردشو) " إن أمريكا ليست دولة وإنما كونسورتيوم شركات متعددة الجنسيات يرأس مجلس إدارتها رجل يتربع سعيدا في البيت الأبيض ويحمل لقب الرئيس" .. وربما لم يشهد التاريخ الأمريكي تداخلاً في المصالح بين الإدارة والمجمع النفطي الأمريكي مثلما شهدته إدارة الرئيس الأمريكي الحالي دبليو بوش خاصة انه رجل نفطي عمل قبل وصوله للحكم في البيت الأبيض في مجال التنقيب عن النفط في تكساس ولذلك لم يكن غريباً أن تضم إدارة بوش الأولي ستة أعضاء كانوا يعملون قبل توليهم مناصبهم العامة في شركات كبيرة للنفط " وديك تشيني" نائبه كان رئيسا لشركة " هاليبرتون" للطاقة حتى عام ٢٠٠٠ " وكوندوليزارايس عضو مجلس إدارة شركة " شيفرون تكساس" ورامسفيلد شريكا للرئيس بوش في شركة (إنرون) العملاقة للطاقة .. كما استثمر ما يقرب من مائة شخص من مسئولي البيت الأبيض باستثمارات تقترب من ١٤٤.٦ مليون دولار في قطاع الطاقة .. ويرتبط العديد من شركات النفط بعلاقة وثيقة بصناع القرار الأمريكي وتسهم في تمويل مراكز الفكر والمؤسسات البحثية وبذلك يكون لها تأثير كبير في قرارات رجال الإدارة الأمريكية.

فقد قدمت شركة "أكسون موبيل" لمعهد "إنتربرايز أنستتيوت" الأمريكي ٢٣٠ ألف دولار عام ٢٠٠١ و "ليي رايموند" رئيس شركة " أكسون موبيل" عضو مجلس إدارة في هذا المعهد . كما قدمت الشركة لمعهد " هيرتاج فاونديشن" منحة تقدر بـ ٦٥ ألف دولار عام ٢٠٠١ أيضاً وهو مركز بحثي مؤثر في صنع القرار الأمريكي .. كذلك تلقي " انتوني كوردسمان" من مركز الدراسات الإستراتيجية ١٣٥ ألف دولار من نفس الشركة وهذا علي سبيل المثال لا الحصر .

ومن أبرز المعاني في خطاب بوش عن حالة الاتحاد في إبريل عام ٢٠٠٦ " لقد أصبحت الولايات المتحدة مدمنة للنفط الذي يستورد من أنحاء غير مستقرة في العالم " وعقب علي ذلك " انتوني زيني" عندما كان قائداً للقيادة المركزية الأمريكية. إن منطقة الخليج وما تحتويه من كميات هائلة من احتياطيات النفط تجعل من الضروري أن تحتفظ أمريكا بحرية التدخل Free Access " للاستفادة من هذه الثروة النفطية..

ويبدو ورغم بعد المسافات أنني أري النخبة الأمريكية الحاكمة تتبادل نخب الانتصار في المشكلة الإيرانية الأمريكية وذلك طبقاً لطبيعة سياسة الإمبراطورية الأمريكية التي تظل متوترة إلي حد كبير بين الشد والجذب أو ما يسمي حديثاً "بالبسترة السياسية " حتى يتم التراجع بالخطوة الأولي .. وما أعنيه الخطوة الأولي فقط ! لمن تقف في مواجهته حتى تتفرج الأسارير لأنه في كل مرة من المواجهات السابقة يستمر الصمود في المواجهة السياسية الأمريكية ولفترة تطول أو تقصر حتى يتم التراجع في خطوة واحدة تتيقن أمريكا بعدها بالانتصار لأنها تتابع بعدها الخطوات إلي الخلف ! وحدث هذا مع العراق حيث بدأت خطوة التراجع الأولي مع عودة المفتشين عن أسلحة الدمار الشامل ثم حظر الطيران في الشمال والجنوب العراقي ثم الحصار لتنتهي الأمور باحتلال العراق .. وحدث هذا مع السودان حتى تم السماح بالقوات الدولية.. والله أعلم بالنهاية ! وإن بدت.. وكوريا أيضاً وقبلها جواتيمالا .. ولقد توقع الكثير من الخبراء الصمود الإيراني خاصة أنه لم يفقد الكثير من أوراقه بعد .. ! ولكن ما يبدو بدأت الخطوة الأولي وهذا المتحدث الرسمي في البيت الأبيض ولو مؤقتا انتظاراً للخطوة التالية الأخرى والتي عادة ما تكون الخطوة الأولي غير كافية .. وفي منطقة الخليج علي وجه الخصوص انتهت الامتيازات البترولية وقارب بعضها علي الانتهاء .. وهذا بالطبع له تأثيراته علي السياسة الأمريكية في المرحلة المقبلة .. والمشروع الأمريكي البترولي وبعد نجاحه في استخراج البترول من جزيرة "المنامة" عاصمة البحرين عام ١٩٣٦ بمعدل مليون طن سنوياً اتجهت أمريكا إلي السعودية في مشروع ضخم شمل شركة " ستاندرد أويل" كاليفورنيا بنسبة ٣٠% وشركة تكساس بنسبة ٣٠% وشركة استاندرد (نيوجيرسي) بنسبة ٣٠% وشركة سوكوني فاكوم بنسبة ١٠% وسمي هذا المشروع بشركة (أرامكو) وانتهي الامتياز الذي استمر ٦٦ عاماً في عام ٢٠٠٥ وشركة البترول العراقية (أمريكا – بريطانيا) انتهي الامتياز في عام ٢٠٠٠ و نفس الملكية لشركة بترول البصرة ينتهي في ٢٠٠٧ وشركة قطر بنفس الملكية ينتهي في سنة ٢٠١٠ والكويت سنة ٢٠١٧ والبحرين سنة ٢٠٢٤ وعمان سنة ٢٠١٢ و أبوظبي سنة ٢٠١٨ ودبي سنة ٢٠١٢ .. ومن هنا وجد صانعوا السياسة الأمريكية أنفسهم أمام محاور ثلاثة هي سياسة أمن النفط والقوي المحركة للطلب والعرض و التقيدات الجغرافية . وكل عامل علي حدة كاف في حد ذاته لإثارة شبح سفك الدماء لكن اندماج العوامل الثلاثة السابقة هو الذي ينتج الخطر الجدي للحرب ... كما أوضح ذلك الكاتب الأمريكي "مايكل كلير" وهذه الخطورة ستكون موجودة في معظم المناطق المنتجة للنفط لكن خطر الصراع الهام سيكون أكبر في تلك المناطق التي يتقاطع فيها عرض النفط مع المصالح التنافسية للولايات المتحدة والقوي الإقليمية الكبرى وعندما ابتدأ القرن الحادي والعشرون كانت هذه الخطورة الأكثر

حدة في منطقة مثلثيه شاسعة تمتد من الخليج في الغرب إلي بحر قزوين في الشمال وبحر الصين الجنوبي في الشرق وضمن هذا المثلث الاستراتيجي توجد بعض أضخم تركزات النفط في العالم إلي جانب العديد من النزاعات الإقليمية والمصالح الأمنية المتصادمة للدول القوية .. ويضم المثلث الاستراتيجي ثلاث مناطق كبري منتجة للنفط " الخليج" الذي يمتلك حوالي ٦٥% من مخزونات النفط المعروفة للعالم .. وحوض بحر قزوين الذي ينتج قليلاً من النفط في الوقت الحاضر لكنه يمتلك مخزونات هائلة من النفط والغاز الطبيعي .. وشرق آسيا الذي يحتوي علي عدد من الحقول القائمة ويضم بشكل كامل مخزونات كبيرة في بحر الصين الجنوبي .. كما يقع في هذه المنطقة ايضاً عدد من المصادر الثانوية للهيدروكربونات بما في ذلك حوض " تاريم " في الصين الغربية وحقل غاز ياوانا في بحر اندامان في عرض البحر مقابل الساحل الغربي لبورما .. وهذه المناطق الثلاث معا تنتج نحو ٤٩% من النفط العالمي الحالي ... ومن بين كل مناطق العالم الكبرى المنتجة للنفط فإن منطقة الخليج هي الأكثر احتمالا لأن تشهد صراعا في هذا القرن .. فالخليج الذي يمتلك حوالي ثلثي مخزونات النفط العالمي سيبقي بالتأكيد بؤرة للمنافسة الشديدة علي نطاق العالم عندما يرتفع الطلب علي الطاقة في العقود المقبلة بالإضافة إلي ذلك فإن المنطقة تمزقها التنافسات المتعددة بين القوي والانشقاقات الدينية والنزاعات الإقليمية وهذه الانقسامات غالباً ما كانت تستثير العنف في الماضي ومن المرجح أن تفعل ذلك مرة أخري في المستقبل ولأن أي ثوران كهذا يمكن أن يعرض للخطر الإمداد العالمي للنفط والتدخل من قبل القوي الخارجية وخصوصاً الولايات المتحدة هو إمكانية دائمة الوجود.

وتساهم عوامل كثيرة في احتمال وقوع الحرب في منطقة الخليج لا تتصل كلها بالنفط فالطموح السياسي والخلافات الدينية والطمع كانت تثير الصراع بشكل دائم ومنتظم في السنوات ما قبل عام ١٩٠٨ عندما تم العثور علي أول المكامن الهامة للنفط في إيران .. لكن وجود مخزونات هائلة من الطاقة في الخليج من المرجح أن يزيد من وتيرة الحرب والدمار النسبي الذي تخلفه فمن ناحية أولي يقع الكثير من مخزونات الطاقة الهامة في مناطق تدعي الحق فيها دولتان أو أكثر أو مناطق حدودية بدون معالم وليس لها حدود راسخة ولأن امتلاك هذه المناطق المتنازع عليها يمكن أن ينتج بلايين الدولارات من العائدات السنوية للنفط والغاز الطبيعي فإن مختلف المدعين لملكيتها قد يختارون السيطرة علي الأرض من خلال القوة بدلاً من السماح لمنافس بأن يحصل علي كل جزء من هذه الملكيات ويمكن أن ينشأ الصراع أيضاً في أوضاع يكون فيها خزان نفط كبير ممتداً عند الحدود بين بلدين أو عندما تحاول دولة أن تستخرج حصة غير متناسبة من المخزون الكلي (اتهام العراق والكويت) ولذلك كانت احتياطيات النفط الكبيرة أحد العوامل المؤثرة في إعطاء دول

المنطقة الوسيلة لشراء كميات كبيرة من الأسلحة الحديثة فمنذ أن جلب رفع سعر نفط الأوبك في عام ١٩٧٣، ١٩٧٤ دخلا إضافيا لدول الخليج أنفقت هذه الدول بشكل مشترك مئات بلايين الدولارات علي الأسلحة المستوردة في حالات كثيرة كانت تحصل علي الأنظمة المتاحة الأكثر تعقيداً وفتكاً والحصول علي الكثير من الأسلحة المتطورة للغاية قد أزكي دون شك النزاعات التوسعية لبعض قادة دول الخليج (إيران) التي تدخلت في الحرب الأهلية العمانية في منتصف السبعينيات .. ويقول تقرير أمريكي " إن ارتفاع الدخل النفطي قد زاد أيضا من خطر الصراع الداخلي في الخليج خصوصاً في تلك البلدان التي يذهب فيها الكم الأكبر من هذه الأموال إلي نخبة صغيرة من رجال الأعمال .. وبالرغم من أن هذه البلدان حاولت تجنب النزاع الداخلي علي توزيع عائدات النفط بتقديم منافع استثنائية لمواطنيها بما في ذلك التعليم والدعم المالي الحكومي للطعام والسكن والطاقة .. وتراكم هذه الثروة الكبيرة جداً في أيدي نخبة بارزة قد أثار بشكل طبيعي قدراً معيناً من الاستياء من جانب أولئك الذين يتمتعون بامتيازات أقل وعندما تضافر هذا الاستياء مع مصادر أخري للسخط – سواء كانت ذات طبيعة دينية أم سياسية أم أيديولوجية تكون النتائج انفجارية .. وهو تأثير بالطبيعة سلبي يثير المخاوف الأمريكية من تأثيرها علي إمدادات النفط، وهذا ما جعل الولايات المتحدة وبريطانيا تميلان إلي اختيار التدخل في النزاعات المحلية عندما تدرك التهديد الذي يمنع التدفق الحر للنفط.

يزعم المسئولون الأمريكيون أن الوجود البارز للجنود الأمريكيين في الخليج والرغبة المؤكدة للإدارات المتعاقبة علي استخدام القوة سوف يقلل خطر الصراع ويمنع الخصوم المحتملين من إعاقة تدفق النفط .. ومع ذلك فإن كبر الوجود العسكري الأمريكي تحديداً إلي جانب استخدام واشنطن المتعدد للقوة قد أستثار أيضاً المعارضة لسياسات الولايات المتحدة وهذا واضح بشكل خاص في المملكة العربية السعودية حيث أثار النشر المتزايد للجنود الأمريكيين عداء شرسا من ناحية القادة الإسلاميين المتشددين الذين يستاءون من وجود غير مسلمين علي أرضهم ويشجبون روابط أمريكا الوثيقة بإسرائيل وعلي نحو مشابه كانت نفس المشاعر بعد الاحتلال الأمريكي للعراق .. ومن هنا ينحصر الوضع في الخليج في رؤية أمريكا السياسية إلي وقف التدفق النفطي من اعتداء خارجي أو من دولة جارة أو من الداخل وأوقفت أمريكا علي نفسها الدفاع ضد الاعتداء الخارجي من خلال قواعدها في المنطقة والاتفاقات الأمنية الثنائية ومن أجل حفظ التوازن من اعتداء دولة جارة (مثل حادث العراق والكويت) فإن ذلك يستلزم أيضاً صفقات ضخمة ومتطورة تزيد علي ٢٠ مليار دولار في العام للدول الحلفاء والمتعاونين وهي تؤدي بالتالي إلي تنشيط صناعة السلاح لديها وتطويرها ومن ناحية ثانية يتم امتصاص عوائد النفط (خاصة بعد زيادته

بصورة غير مسبوقة) لتعود إلي الاقتصاد الأمريكي مرة أخري .. ويبقي عامل التوازن والذي كان ينحصر بين العراق وإيران وبعد نهاية العراق لم يعد أمام أمريكا إلا إيران لتحمل عوامل التوازن السياسي في المنطقة ولكن تري أمريكا أن الأيديولوجية الحاكمة في إيران الآن لا تتوافق مع المهام التي كانت ترغب أمريكا في أن توليها لإيران ولا توجد مبادرات جذرية حالية لتغيير الحالة الراهنة ؟! ولم يعد أمام أمريكا إلا تركيا التي تحد العراق وإيران والقوقاز أيضاً وتري أمريكا أن تعاونها في أي أزمة لا يمكن الاستغناء عنه وإن كانت النظرة الأوروبية لا تتوافق مع الاحتياجات السياسية للولايات المتحدة من تركيا حيث تريد أوروبا أن تخضع السياسات المحلية التركية بدون ثمن وتتجاهل الاعتداد القومي التركي وظروفها الخاصة والعناصر الحساسة التي تؤثر فيه وتمييز التركيبة الداخلية لتركيا ينبغي أن يتوازن مع هذه الحقائق وذلك حتى تستطيع الولايات المتحدة أن تجد الحلول للتعقيدات السلوكية الأمريكية في المنطقة فالمبادئ الولسونية لا يمكن أن تكون مرشداً للسلوك الأمريكي فهل تقبل إيران دور (شيخ الخفر) الذي تريده أمريكا لها (أفضل من أن تكرر التجربة العراقية) وهو منصب خال في الوقت الراهن وتشغله تركيا ندباً للقيام بعمل مؤقت ومع ذلك فإنني أري أن إيران لن ترضي بهذا المكان وهذا المنصب الأمريكي لأنها أرادت أن تجد مكاناً لها ودائماً تحت الشمس أو في ضوء أشعتها وطموحها أكبر بكثير تاريخاً وأيديولوجياً مما تريده لها أمريكا فكيف يحدث التوافق الحتمي (من وجهة النظر الأمريكية) بين الرغبة الأمريكية والأمنية الإيرانية .. لست أدري .

الفصل الثانى

نوم الذئـــاب !

إن العلاقة بين أمريكا وإيران وإسرائيل في المرحلة الثانية أو الحالية لا يمكن فصلها أو تسميتها بالعلاقة الثنائية .. فهي في الحقيقة علاقة متداخلة ثلاثية الأبعاد مقفولة مثل المثلث علي رأسه أمريكا.. وطرفاه إسرائيل وإيران.. ويحكم هذا المثلث قانون واحد اتفق عليه الأطراف لم يحد عنه أحد، وظل حاكماً لهذه العلاقة حتى الآن .. وهذا القانون هو "التعامل بعين مقفلة .. وعين مفتوحة، وتجري من خلال هذا القانون المصالح الحكومية والمصالح المقابلة لكل طرف من الأطراف.. " .

أولاً : لم يكن النظام النووي الإيراني الضخم بكل معداته وحجمه وتفصيلاته بعيداً عن أعين أمريكا وإسرائيل.

بالنسبة لأمريكا:

أ – نظم الاستطلاع الحديثة والتي تعطي الصور واضحة لهذه المنطقة الملتهبة من العالم إلي محطة ناسا للأقمار الصناعية ويتم فيها التحليل والاستنتاج.. هل تكون بعيدة عن الرؤية ؟؟!! .

ب – أبراج التجسس الموجودة بدول الخليج وتركيا والتي تغطي المنطقة الإيرانية بكل المعلومات المطلوبة .. هل وقفت عن العمل ؟؟!! .

ج – مراكز المخابرات المركزية الأمريكية في المنطقة وإيران والتي ترسل كل كبيرة وصغيرة .

د – مراكز المخابرات في الدول المصنعة للمعدات النووية.

هـ - الاتفاقات السرية والعلنية بدول النادي النووي والتي تحظر امتلاك أي دولة للتكنولوجيا النووية دون موافقة باقي الأطراف.

بالنسبة لإسرائيل:

أ – يوجد عدد من الضباط في إيران كان يتحصل علي فرق دراسية ودورات تدريبية في إسرائيل ولابد أن يكون هناك تبادل معلومات مع بعض منهم .

ب – توجد وحدة خاصة بالملف الإيراني في الموساد الإسرائيلي تعتمد في عملها علي اليهود من أصل إيراني.

ج – مازالت العلاقات وتبادل المعرفة والمعلومات علي قدم وساق بين الموساد وكثير من الأجهزة الأوروبية المماثلة والتي تعقد اجتماعات دورية لتبادل المعلومات .

مما سبق نجد أن النظام النووي الإيراني لم يكن مخفياً تحت الأرض أو بعيداً عن الأعين لمختلف أجهزة العالم الاستخباراتية أو بعيداً عن مختلف الحكومات بالنادي النووي الدولي المانحة لتلك المصانع الضخمة والأجهزة الحديثة .. ولا يمكن إلصاق التهم إلي باكستان بمعاونة إيران وإن كانت علي استعداد للتحمل ولكن ما نشر من صور ومعلومات عن النظام الإيراني يكشف أن التقنية الإيرانية تختلف عن التقنية الباكستانية كليا وجزئيا وإنها أحدث بكثير عن الأنظمة الباكستانية الأولية وكثير من الدول سوف تظهر أن هذه التهمة ساذجة وسوف يفتضح الأمر بعدها بوقت قصير .

وهل تذكر معي عزيز القارئ عندما أعلنت أمريكا أنها وضعت العلم الأمريكي فوق القمر واهتزت الدنيا كلها لهذا الخبر ولكن الخبراء الروس لاحظوا أن العلم يتحرك فعرفوا أن هذه الصورة علي الأرض وليس علي القمر فليس في القمر هواء يحرك العلم !! .

ومن ناحية أخري فإنه كما يقول بعض المراقبين للسياسة الدولية إنه إذا عطست هيلارى كلينتون في واشنطن فإنهم يهرعون لها بالمناديل في إسلام أباد صائحين في الجوال " يرحمكم الله يا أبو سريع" !! .

إذاً عزيزي القارئ لا يمكن ولا يصح أن تتحرك مصانع وتكنولوجيا نووية بهذا الحجم من دولة إلي دولة دون أن تهتز أجهزة الاتصالات الدولية فوراً أو قل تحترق الشبكات من كثرة ضغط المعلومات عليها في نفس الوقت.

ومن هنا نقول إن الموضوع قد تم وصوله إلي طهران وتركيبة وعمله تحت غطاء العين المقفلة لكل من أمريكا وإسرائيل وأوروبا والعالم أجمع .. ولكن ربما يكون الخطأ في تقدير المدة اللازمة لتخصيب اليورانيوم وإنتاج السلاح النووي الإيراني والذي يعتقد أن إيران قد سبقت الغرب في الزمن وهنا ربما تكون المفاجأة !! .

ثانياً : كانت أمريكا قبل غزو العراق وبالتالي بريطانيا علي علم ودراية بالتجربة التاريخية القريبة عندما أحتلت انجلترا العراق عام ١٩١٧ وصدرت الفتوى الشيعية من آية الله السيستاني بالجهاد واتحد شعب العراق علي قلب رجل واحد ولم تستطع بريطانيا أن تبقي في العراق أكثر من ثلاث سنوات تركت العراق بعدها عام ١٩٢١ ومن هنا كان من اللازم التنسيق مع إيران في هذا الخصوص بتحييد الجانب الشيعي وآية الله

السيستاني ولذلك تم تمرير الغزو الانجلو أمريكي تحت شعار العين المقفلة أو المغمضة وفي هذا الخصوص كان كلما اشتعلت المواقف الشيعية المتشددة في العراق وبالذات مع التيار الصدري كانت تقف الضغوط عند حد معين كلما أرادت إيران تذكير أمريكا بقوة نفوذها في العراق وكلما طلبت أمريكا ذلك من طهران دون خشية أو كسوف فكل شئ محسوب ومغطي بغطاء العين المقفلة عما يفعله الآخر والعين المفتوحة عن المقابل الواجب الحصول عليه مقابل ذلك.

يعني كما قلنا في البداية مصلحة .. ومصلحة مقابلة .. وليلتقي الجميع ولكن علي أرض محايدة ليست أمريكيا وليست إسرائيل وليست إيران ؟ فلتكن العراق والمكان يتسع للجميع .. ومن هنا كانت تنثر من حين إلي آخر بعض التصريحات من الساسة الإيرانيين بأنه كم من المرات تدخلت إيران لتهدئة الأوضاع في العراق عبر اتصالات سرية وعلنية لتحريك قانون أو حكومة شيعية معينة أو تهدئة وضع متوتر مع النظم الشيعية العراقية.

ثالثاً : وفي اعتقادي أن الخطأ هنا هو خطأ زمني أو في رؤية وتوقع المعدل الزمني لكي تتمكن إيران من تخصيب اليورانيوم بالكميات التي تمكنها من إنتاج السلام النووي ، فربما كان الاعتقاد أنه كان من الممكن أن تستقر الحرب والأراضي العراقية في أيدي القوات الأمريكية والبريطانية تنتهي الحملة بالسيطرة علي منابع النفط وفق قواعد وأسس أتي الغزو من أجلها وبعد انتهاء الحملة ورحيل القوات الغازية يتم التعامل مع النظام الإيراني بما يستحقه مثلما حدث مع النظام العراقي أيام صدام حسين وقد تم إعطاؤه المفاعل النووي وفي الوقت المناسب تم تدميره وعندما وجدوا وقتاً إضافياً باقياً ومبالغ مالية مازالت متبقية في الخليج تم بناء مفاعل آخر وتم تدميره أيضاً بعد ذلك.

ولكن هذه المرة ومع الجانب الإيراني أتت الرياح بما لا تشتهي السفن فقد كانت المقاومة العراقية عاتية وقوية وغير متوقعة فدائماً ما يكون توقع الأجهزة الاستخباراتية مخيباً للآمال في مختلف دول العالم عندما يكون التوقع خاصا برد الفعل الشعبي وإلي أي مدي يمكن أن يقف وإلي أي مدة .. فصحوة الشعوب لا يمكن التحكم في قوتها أو تحديد معدلات وميول ثابتة لها ومن هنا كانت المقاومة الشعبية العراقية قوة غير متوقعة ولمدة أطول مما توقع الخبراء .. وإلي هنا ساعدت الظروف والمواقف إيران التي تعلمت جيداً من خبرات الماضي القريب وتجارب صدام حسين والعراق مع أمريكا والغرب وسابقت الزمن في معدل العمل علي تخصيب اليورانيوم بعدة سبل أو طرق لم يتمكن معها الغرب حتى وإن فطن بوقف التيار الجارف لكل شئ فهو الطوفان بعينه وكانت إيران تعمل في عدة محاور غير متوقعة وهي :

أ – استمرار دعم الجماعات المقاومة القادمة من الخارج تارة عن طريق الحدود العراقية السورية وتارة عن طريق حدودها الطويلة مع العراق سواء بسهولة حركة الأفراد وانتقالهم فراً وكراً وكذا الأسلحة والمتفجرات.

ب – المراوغة الدولية والتفاوضية تارة مع أوروبا والتي أرغمت علي التعامل مع المشكلة النووية الإيرانية ولسان حالها يقول وأنا مالي اللي حضر العفريت يصرفه وتعمدت إيران إطالة المفاوضات قدر الإمكان وإظهار الأمل عند اليأس واليأس عند الطمع فكل شئ كان محسوباً وهذا ما اعتقده سر النجاح.

ج – اشتعال الموقف بين الحين والحين كلما استقر الأمر، اشتعل مرة أخري إما شيعية بريطانية أو شيعية أمريكية أو شيعية سنية .. إنه سباق مع الزمن .

د – إعادة الأمر إلي الأمم المتحدة للتفاوض من جديد وهذا الملف يمر عبر مصالح دولية كثيرة لم يتمكن معها مجلس الأمن حتى الآن بالخروج بقرار عقابي لإيران بالمعنى المعتاد مع العرب وشتان القرارات عند معاقبة العراق حول أسلحة الدمار الشامل غير الموجودة أصلاً والعجز عن إصدار قرارات أمام مصانع ومعامل بحثية ضخمة ومفاعلات ظاهرة وواضحة وتصريحات رسمية حكومية .. يعني إلي هنا يمكن القول إن ميزان العدل أو النظام الدولي لا يكيل بمكيالين وإنما لا توجد موازين ومكاييل أصلاً ..

ومن هنا عزيزي القارئ وضحت الصورة تماماً كما أري أو يري غيري علي الأقل وهو أن الزمن لعب لصالح إيران وقدرته وتعاملت معه بحكمة قدر الإمكان وأمريكا وبريطانيا تعاملا مع الزمن وكأنه ملك اليد ؟ .. ولكن متى كان الزمن ملكاً لأحد مهما كانت قوته علي وجه الأرض .. وهل صدق " ليدل هارت " عندما قال : " إنه لا يوجد نظام دولي ثابت لأنه لا يوجد إنسان مشي في كل الأرض وعاش كل الزمن".

رابعاً : استفادة إيران من رغبة روسيا الجامحة في حماية ثروات بحر قزوين من النفوذ الغربي والطمع الأمريكي فقامت بتزويد إيران بتكنولوجيا نووية وتطوير أسلحتها بإعطائها أسلحة حديثة مثل الصاروخ المائي والذي يمكن إيران من غلق مضيق هرمز كما ألمحت من قبل والاتفاق معها بتزويدها بصواريخ دفاع جوي ذات أنظمة حديثة ومتكاملة يعني هناك دعم عسكري متقدم لإيران بخلاف الدعم والمظلة السياسية لكل من روسيا والصين.

ونأتي إلي المرحلة الأخيرة ولن يكون لدي ما أقوله بعد ذلك في المشكلة الإيرانية الأمريكية الإسرائيلية بعد هذه البحث علي ما اعتقد في هذه العلاقة سوي سؤال مهم للغاية

وهو ماذا بعد ... ؟؟! والإجابة ليست من عندي أو بيدي أو اقتنع بها ولكن كما أراها أمامي أو أكاد أقول إنني رأيتها في المستقبل أليس ذلك بغريب :

١ – سوف يزداد الضرب في المضروب عملاً بنظرية اضرب المربوط يخاف السايب وإن لم يخف السايب استمر في ضرب المربوط أو المضروب حتى يخاف السايب.

٢ – حتى لا تنبهر الشعوب العربية في المنطقة بما حدث في إيران او تشمت في أمريكا يمكن وضع المنطقة في مزيد من الضغوط مثل ضرب غزة أو تجويع شعبها أو غلق المعابر أو عدم السماح بمرور الطعام إلى المناطق المحتلة.

٣ – إحداث بعض القلاقل أو اللعب علي أي خلافات داخلية أو تناقضات وإن لم تكن موجودة فيجب إيجادها وإظهارها وبطرق سوداء أظن الجميع يعرفها وأجدني غير مضطر لكتابتها.

٤ – الحديث في أمور دينية كي تكون موضة العصر في الشرق الأوسط طالما هذا الموضوع يهم الناس والجماهير فكل شيخ في برنامج يرتدي عمامة وكل بنوته في برنامج ربما لا تعرف سورة قصيرة من القرآن أو كيفية الوضوء لتسأل وتحاور أي شيخ يقابلها في أي برنامج ولازم الشيخ طبعاً يكون رأيه مخالف يعني هو جاي ليه لكي يكون البرنامج في السخونة المطلوبة وكله ماشي ..؟ إلي هنا عزيز القارئ والحديث قد يطول ولا أريد له أن يطول أبداً هذه المرة .. فلابد من المحافظة مهما كانت النتائج علي الهيبة الأمريكية والمكانة الأمريكية الدولية ونحن علي أتم الاستعداد لدفع الفاتورة الأمريكية والغربية كما دفعنا فاتورة ١١ سبتمبر وكما يقول المثل الشعبي " من العين دي زاد ... ومن العين دي .. ميه " . والسلام ختام.

الفصل الثالث

أمريكا و إيران .. و حسابات الضربة

بعد العديد من الدراسات و التحليلات وصلت إلى نتيجة واحدة وهي أن المشكلة الإيرانية الأمريكية قنبلة في طريق مظلم ومؤجلة أيضاً .. ولكن طالعتنا وكالات الأنباء عن توجه حاملة الطائرات الأمريكية " جون ستينز" والوحدات البحرية المرافقة لها إلي الخليج واتخاذها أوضاع الاستعداد القتالي .. وأن هذه الحاملة سوف تنضم إلي مثيلتها " دوايت أيزنهاور" المتواجدة في الخليج .. وسوف يستتبع ذلك حاملة الطائرات " بريمر تون " والقوات البحرية التابعة لها وسوف تغادر إلي منطقة الخليج قبل موعدها المقرر.

أمريكا وإيران .. وحسابات الضربة

فهل هذا يعني أن المشكلة الإيرانية الأمريكية سوف تخرج من الطريق المظلم أو انتهي موعد التأجيل لانفجار القنبلة الموقوتة للمشكلة الإيرانية الأمريكية.. هذا ما نحاول الإجابة عليه في تصور محدد وهو احتمالات الضربة .. فقط .. ؟! حيث إنني أري أن الجانب الإيراني أدي ما عليه وفقاً لإمكانياته ، وبذل الكثير من الجهد والمال لدرجة توحي للمراقب برغبة وشهوة الترقب بالإعجاب و لكن ما يوغر القلب لدي الإيرانيين يمكن أن يفوق الرؤية العقلية والتعامل مع الأمر بالروية وتقبل جرعة الدواء مهما كانت مرة من أجل الهدف والغاية، وقد كان الإيرانيون يمهدون الأرض العربية والإسلامية بهدوء شديد ومهما حاولنا أن نقاوم إلا أننا عجزنا عن المقاومة في الإطار الذي رسمه لنا الإيرانيون وهو الجامع الأشمل والأعم لنا جميعا وهو " الإسلام " وكما يفعل الأمريكان أثناء الحديث وهو البحث عن نقطة تلاقي واحدة .. ولو كانت ذكري رحلة طائرة أو زمالة قطار ليضخمها أمامك ويكيل عليها كل أهرامات التعامل والصداقة التي بمقتضاها ربما يأخذ عينيك التي تري بهما .. ؟!

والكل يدرك ما لدي إيران من إمكانيات وتداخلات مع العراق وكان يمكن معها تفادي إعدام صدام حسين وبهذه الطريقة البشعة والمزرية التي أطاحت بذكريات حزب الله اللبناني الممتعة والرائعة والتي أوحت بخروج الممكن إلي حيز الوجود .. ؟! نسينا كل هذا ومعه حديث القلوب عن فلسطين والمحرقة الألمانية .. لقد خسر الإيرانيون الأرض العربية

والمساندة المعنوية في لحظة تشف أرادها الحكم الإيراني وأعتقد بأنه ندم وسوف يندم أكثر عليها في المستقبل.

خط الاتفاق

وإذا نظرنا إلي أوراق اللعب في هذه المشكلة فإننا نجد الموقف الصيني والذي يجب أن تعلم وتدرك إيران بأن اعتمادها علي الصين لن يتعدي استمرار التجارة طوال الوقت طالما تدفع إيران .. وهذا هو الخط الاتفاقي والذي يعلمه الجميع (الدول الكبرى بالطبع) في التعامل مع الجانب الصيني وسوف تتم المساندة ولكن إلي حد معين وهو عندما يبدأ النظام الذي تسانده في الاحتياج أو الترنح .. فإنه يتركه إلي قدره المحتوم ويبدأ في المقايضة عليه أيضا... ؟! وهل مساندة الصين للجانب الإيراني سوف تتعدي أو تقارب المساندة لكوريا الشمالية .. ؟! اعتقد بأنها سوف تكون أقل من هذا بكثير.. وليست العلاقات الصينية العراقية ببعيدة عن الأذهان حيث كان التفاوض في النهاية بين أمريكا والصين مقابل دعوة وزير الخارجية الصيني لزيارة أمريكا ومقابلة الرئيس الأمريكي مقابل التأييد في مجلس الأمن بالإجماع وعند الدعوة لزيارة أمريكا من وزير الخارجية الأمريكي والتباحث معه في واشنطن فيتم الامتناع عن التصويت .. وهذا ما ذكره بيكر في مذكراته .. فأين العراق .. صاحب المشكلة لم يكن موجودا أصلا في المباحثات.. والصين تفعل الكثير والكثير ولكن بهدوء معهود وفي قاعات الاجتماعات فقط فكل شيء ممكن وإنني اعتقد أن زيارة أولمرت الأخيرة للصين لم تكن للتعاون الصيني الإسرائيلي فقط ولكنها في الأصل والأساس لتقديم عرض أمريكي مغرى للصين تتولي إسرائيل تفعيله بالتعاون التكنولوجي وإغراء يستحق المفاوضة وعظام والده غالية عليه وإكرامه واجب في أرض الصين الرحبة.

أما الموقف الروسي فإنه لن يختلف كثيراً عن الموقف الصيني سوي أنه معلن وأكثر وضوحا في مواجهة الأطراف ويبذل المزيد من التعاون وبيع الأسلحة والتي تفيد اقتصاديا ولا تؤثر بطبيعة الحال عند المواجهة مع قوي كبري مثل أمريكا لأنه في سوق الحرب الحديث هناك أسلحة للاستعراض العسكري وأسلحة للهو وأسلحة للحرب .. وأسلحة الحرب هنا شئ آخر لم يتم بعد بيعها أو الاتفاق عليها لأنها تخضع للتوازنات الدولية والتعامل الخلفي والتحتي وبكل الحذر والاتفاق طبعاً من خلال دول الثمانية الكبار .. ولكن ما يباع فإنه يخضع في حقيقته للتنمية الاقتصادية وتمويل الأبحاث العسكرية المتطورة والاستخدام الأحدث وبيع الأقدم.. وعندما يجد الجد وتدور رحي المعارك فإنه يكون هناك أحاديث أخري .. فقد حاولت روسيا منع الحرب وضرب العراق ولكن عندما أصرت أمريكا ودارت

رحي الحرب وعلمت بها روسيا من أمريكا عن طريق وزير الخارجية وقتها " جيمس بيكر " طلبت روسيا تأخير الضرب ولو لمدة أربع وعشرين ساعة فقط ولكن أصرت أمريكا علي ضرب العراق في الموعد المحدد ولم يحدث شئ وقال " بيكر " معلقا علي الموقف الروسي في الاجتماعات السرية " عندما اجتمعت مع وزراء خارجية الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الأمن علي عشاء عمل في فندق "والدروف استوريا" بدون تواجد أي من العاملين أو المعاونين باستثناء المترجمين فقط .. قال شيفر نادزة: علينا أن نتكاتف معاً لأن صدام يعرف كيف يلعب علي ما بيننا من تناقضات وإنه خطير لا يمكن توقع تصرفاته" .

ردود الفعل

وكيف كانت ردود الفعل الروسية بعد الحرب وحادث ضرب سيارة سفير روسيا في العراق والتي انتهت تبعاته باعتذار رقيق من كونداليزا رايس في روسيا ..

وكيف أن هذا الحادث المؤسف لا يجب أن يؤثر علي العلاقة بين البلدين الصديقين .. وعبر بيكر في وضع آخر عن أن " ميخائيل جورباتشوف" عبر بأنه من الضروري أن تبقي روسيا في الفلك الأمريكي أياً كانت الغضاضة التي يشعر بها شخصياً كما أن استمرار الدعم المادي والمعنوي الأمريكي لبرنامج إصلاحه الاقتصادي المؤلم والمثير للجدل أمر مهم ومن وجهة النظر السياسية كان يدرك تماماً أن مفتاح عدم انقطاع الدعم الإضافي لبرنامجه يقع في يد واشنطن .. فقد تدخلنا لدي السعوديين وأصدقائنا لتقديم الدعم المالي لروسيا وباختصار فهو مدين لنا ومحتاج لنا رغم أن استمرار تعاونه مع السياسة الأمريكية تجاه الخليج العربي يتعرض لمقاومة مستمرة وضغوط داخلية مضادة وهائلة .. تلك كانت رؤية جيمس بيكر للموقف الروسي .. مضيفا فهما جديداً وجديراً بالذكر وهو أن الحرب في إيران من منظور عاطفي تعتبر علي أبواب روسيا وهو يفهم ذلك جيدا لأنها تشبه في هذا الصدد القلق الأمريكي تجاه نشوب حرب في أمريكا الوسطي ومن ثم يمكن تفهمه ..

وفي النهاية يري بيكر أيضاً أن ضرب العراق الحليف والعميل الروسي القديم أعطي باقي دول المنطقة رؤية شبح مخيف يعني ويسأل بدون شك عن مدي مصداقية وديمومة ارتباطها " بموسكو" وفي النهاية أيضاً يقول بيكر " إن الحرب البرية العراقية أظهرت وكشفت بوضوح زيف أسطورة القوة العسكرية الروسية " ومما سبق يجب أن يعي ويقدر الجانب الإيراني الموقف وأن يتذكر إن كان قد نسي أو تناسي بالإضافة إلي خسارته مجهودا وأرضية كانت في صالحه في الشرق الأوسط بكامله وألقت بستارة سوداء علي

التعاطف معه من باب الإسلام الأوسع والأرحب وأظهرت الجانب الشيعي الملئ بالبقع السوداء التي لا يمكن إزالتها بسهولة.

تكاليف الحرب

وبقيت ملاحظة واحدة في هذه النقطة أريد وأرغب في أن يلم بها القارئ العزيز ويعرفها وهي كيف تحسب التكاليف قبل الحروب عندما عرضت أمريكا علي السعودية حصتها في كلفة درع الصحراء عام ١٩٩١ وقدرها ١.١ مليار دولار شهريا تزيد لو امتدت العمليات لأكثر من شهر ٨٠٠ مليون دولار معونة اقتصادية لتركيا ومليار دولار علي مدي خمس سنوات للصندوق الدفاعي التركي ، ٨٠٠ مليون دولار لشرق أوروبا لتعويض فرق سعر برميل النفط في حالة ارتفاعه نتيجة وقف ضخ البترول العراقي .. وكانت حصة الكويت صاحب المشكلة والقضية نصف هذا المبلغ مما حدا بالسعودية وعلي لسان سعود الفيصل أن يطلب أن يكون ما يطلب من الكويت مساويا لما تدفعه السعودية خاصة أن الاحتياطي النقدي الكويتي أكبر من الاحتياطي النقدي السعودي؟! .

وعند العودة إلي الموقف العربي نجد أن أمريكا كانت في اشد القلق من الموقف العربي الذي كان واضحا ودون عناء من أنه سوف يكون في صالح إيران وأحداث حزب الله خير دليل علي ذلك .. ولذلك فالمؤتمر الذي عقد في دبي والذي عقد تحت رعاية ولي عهد أبو ظبي ونائب القائد الأعلى للقوات المسلحة ورئيس مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية .. وكان هذا المؤتمر هو الحادي عشر وبعنوان " التحولات الراهنة ودورها المحتمل في إحداث تغيير في العالم العربي " في قاعة زايد بن سلطان آل نهيان بمقر المركز في أبو ظبي .

وفي الحقيقة كان المؤتمر بغرض بحث جوانب عملية التغيير في الشرق الأوسط والخليج العربي وكيفية معالجة الخلل المحتمل في التركيبة السكانية في تلك الدول وبروز القيادات الشابة وتأثيرها في عملية الإصلاح وحضر جميع رؤساء مراكز الدراسات التابعة لمراكز البحث السياسية الأمريكية وعدد من أعضاء الكونجرس ومجلس الشيوخ ومرشح رئاسي أمريكي ديمقراطي سابق وقادة سابقون في المخابرات الأمريكية .. وبعض الصحفيين العرب القريبين من هذه الأنظمة ووزراء سابقون في عديد من الأنظمة العربية وكان الهدف هو قياس الأفضل بالنسبة لنا .. أن تضرب أمريكا إيران أفضل .. أم تضربها إسرائيل ..؟! وليس العرض أن تضرب إيران أو لا تضرب ولكن اكرر أن تضربها أمريكا أفضل لا أو تضربها إسرائيل ؟ أيهما تفضل ؟! ومع ذلك فقد أعطت إيران والنظام الشيعي

العراقي الحجة الأمريكية والصلاحية والرضا عندما اعدم صدام حسين وذلك علي طبق من الذهب المطعم بالماس والياقوت لأن هذا العمل الأهوج دمر كل أرضية شعبية كانت علي الأقل ممكنه.

أما أمريكا والتي من الناحية الفنية البحتة وبغض النظر عن أي رأي شخصي أو حتى عاطفي فقد تلقت أحداث إعدام صدام بمناورة خبيثة وممتعة أيضاً وحصلت علي ما يعادل عدة ملايين من الدولارات بعد أن تنصلت من إيران وهاجمتها وتنصلت ايضاً من الحكومة العراقية الحليفة المليئة بالحقد والتشفي .. وتابعت ذلك وكالات الأنباء في سرعة وعجلة في نشر أنباء حول الحشد العسكري الأمريكي في الخليج وبكثافة عالية واستعدادات توحي بقرب الضربة الأمريكية لإيران.

المد الشيعي

والأمور الكثيرة توحي بذلك حيث أن الجانب العربي وبالذات الخليج العربي يشعر بالقلق البالغ من الوجه الشيعي والمد الشيعي وهناك احتمال بأن يكون هذا الحشد كما يري بعض المراقبين الدوليين لإخافة إيران وبعث الاطمئنان في قلوب الأنظمة العربية المعتدلة .. وإن كنت أراه احتمالا ضعيفا من خبرة التاريخ في التعامل مع القيادات الأمريكية .. ولأن ذلك إن فلح في هذه الأيام فماذا عساه أن ينفع في حالة إعداد إيران لعبور نقطة النهاية بإعلان نفسها دولة نووية؟! ومهما كانت الظروف فلن تتحمل العلاقات العربية الأمريكية نتائج هذا الإعلان وبالتالي المشاعر والإحساس بالقوة اللانهائية لدي أمريكا تدفعها وهذا هو الاحتمال الأكبر للمواجهة و يرادف هذا الحشد العسكري زيارة وزيرة الخارجية الأمريكية للشرق الأوسط ومعها مفتاح الهدوء والسكينة وهو عودة المفاوضات الإسرائيلية الفلسطينية وإعلان إسرائيل عن مبادرة جديدة للسلام وربما نري وفاقا فلسطينيا . فلسطينيا بين فتح وحماس بين يوم وليلة وتعلن حكومة وحدة وطنية ..؟! لأنه من الظاهر و الواضح أن الأبواب في الشرق الأوسط و المفتاح في أمريكا؟؟

وبقي التغيير الأمريكي السريع بالسير في عكس ما وضعته لجنة بيكر . هاملتون وبدأ الإعداد من جديد عن كون إيران وسوريا دولا راعية للإرهاب وإرهابية بعد أن تم الاعتراف بأدوارها في الخليج والعراق ودعت اللجنة إلي التفاوض مع كل منهما وربما بعد فترة تكون كل منهما علي علاقة بتنظيم القاعدة ؟! .

مغامرة عسكرية :

ومن الناحية العسكرية هل من الممكن أن تحارب أمريكا إيران وتغامر والجنود الأمريكيون علي مرمي المدافع والأسلحة الإيرانية. لقد أحسست منذ فترة من تناولي المشكلة الإيرانية الأمريكية أن وجود الجنود الأمريكيين في العراق وهو الضمانة الكبرى لإيران لكي تستكمل برنامجها النووي وهي تحسب الحسابات الخاصة بها ومعدل العمل علي معدل الانسحاب الأمريكي من العراق.. ولكن بعد تغير الظروف والمواقف والمصالح والأهداف ايضاً فلابد من تغيير الخطط والتكتيكات العسكرية وأصبح من الطبع الأمريكي أن يكون هناك احتمال للضربة الأمريكية لإيران ويكون البترول الإيراني مضافا للبترول العراقي " والبحر يحب الزيادة ؟! " وإنني أجد إحساسا داخليا بأن أمريكا ربما تضرب إيران بقوة غاشمة وعنيفة ولكن موجهة إلي المفاعلات النووية الإيرانية وبرنامجها النووي .. ثم تعلن بعدها مباشرة إنذاراً شديد اللهجة بأنه في حالة رد إيران علي ضرب برنامجها النووي بضرب القوات الأمريكية في العراق فإن أمريكا سوف تقصف طهران نفسها وربما بقنابل ذرية تكتيكية انتقاما وردعا ..؟! هذا في عمق الفكر والاحتمال .. ولكن ايضاً هل يعرف الأمريكان أن الخلفية العراقية التي تستمر بمقتضاها المقاومة حتى الآن هو الإحساس كما قلت سابقا بأنهم كانوا سادة الدنيا أيام الحكم العباسي ولديهم صبغة دينية ايضاً.

وهذا هو الخطأ الذي وقعت فيه أمريكا ولم تكن تدركه حتى الآن .. وهذه هي المرة الثانية .. فالشعب الإيراني ايضاً كان ومازال لديه نفس الإحساس بحركة التاريخ وأنهم كانوا سادة الدنيا في عصر من العصور تغلبوا فيه علي القوة الكبرى في العالم وهم " الرومان " وسادوا الدنيا ايضاً وبعد دخول الإسلام لديهم صبغوا ايضاً بالصبغة الدينية ولكن طباعهم أشد وأقوي ولن تنتهي الحرب في وقت قصير .. هذا بالإضافة إلي أن نظام الحكم في إيران لا يشمل رئيساً علي رأس الحكم أو ينفرد بالقرار باستمرار الحرب أو التسليم ولكنه يعمل من خلال نظام شيعي تتحكم فيه مبادئ وآمال وأهداف .. ولم يعد ما أراه إذا ما اشتعلت الحرب في الشرق الأوسط من جديد سوي الدمار والخراب ولن ينتهي . يقول المثل الشعبي " العاقل من تدبر وعقل .. والغافل من تناسي وتجبر " .. وليتهم يعقلون ...؟!! .

الفصل الرابع

بين الردع ..والعدوان .. بمنظور أمريكي

أمريكا لا تتعلم من أخطائها

يروي في أساطير العرب أن شيخا كبيرا كان يسير مع ابنه في درب من دروب الصحراء مسافرا .. وعندما لاحظ أنه توجد في الطريق في مواجهة ابنه حفره صغيرة ربما يقع فيها .. فجذبه بعيدا عنها .. وعند العودة علي نفس الطريق وعند الاقتراب من نفس الحفرة ترك ابنه يسير معتمدا علي تحذيره في رحلة الذهاب، ولكنه وجد ابنه يقع في نفس الحفرة ؟ فتألم والتوت قدمه واستفسر منه قائلاً " يا بني ألم أحذرك وأمنعك عنها ونحن ذاهبون أم أنك لم ترها " فرد ابنه عليه : " بل رأيتها ولكنني أردت أن عرف ماذا سيحدث لو أنني وقعت فيها ونحن ذاهبون .. ويروي أيضا أن إبليس قال لنبي الله موسي عليه السلام " ادع لي ربك فأنت كليمه أن يغفر لي ويتوب علي فأنا عاص له ولست مشركا به " فسأل موسي ربه فقال له ربه : " لقد عصاني عندما أمرته أن يسجد لآدم فور أن خلقته .. وإذا أراد التوبة.. فهو يعرف قبر آدم فليذهب إليه ويسجد عنده " وعندما عرض موسي هذا علي إبليس رفض قائلاً " لم أسجد له حيا .. فهل أسجد له ميتاً .. ورفض أن يفعل " واستمر في عصيانه لله .

لقد كانت هذه الخواطر تجول في خاطري بعد الأحداث المتلاحقة حول احتمالات الضربة الأمريكية لإيران.. بأن الإنسان وحتى الجان نادرا ما يستفيد من خطئه .. ولذلك كان الحساب يوما واحدا ومرة واحدة .. لأنه لو عاد ألف مرة لكان نفس الخطأ ونفس التصرف.

وهذا ما تفعله أمريكا الآن في الشرق الأوسط ، أو في منطقتنا الإقليمية الملتهبة والحرجة .. ولم تتعظ بخطأ فيتنام ولبنان والصومال ثم العراق .. وها هي تعاود الخطأ في إيران ولا تقبل نصيحة حكماء العرب وتصر علي أن تحصل علي " نعم " باللغة العربية.

ولقد كنت اعتقد أملا أن تميل أمريكا لصوت الحكمة. ولكن الأحداث تلاحقت وتتابعت مما جعلني أعود لأستمر في الكتابة حولها غير مكترث بما أعلنه مجلس الشيوخ والكونجرس

من أنه يوجد مشروع قرار موقع من أحد عشر عضوا بأن يرجع الرئيس الأمريكي إلي الكونجرس في حالة عزمه ضرب إيران .. ولم ألتفت إلي ذلك مطلقا فالتعمية والتصاريح لن تجد من يصرح بها بعد أن تدور رحى الحرب وإلا فأين سفيرة أمريكا في العراق قبل الغزو

كان يدور الحوار عما نراه نحن وبمنظورنا نحن لمفهوم الآخرين ومختلف الأطراف. ولكنني اليوم أري أن تكون الأحداث ومعللاتها طبقا للمنظور الأمريكي والعلم الأمريكي وخبراء أمريكا .. والمقدمة تعني ما أقول تماما من أن أمريكا لا تتعلم من أخطائها السابقة كما لم يتعلم الإنس والجن أيضا .. وذلك علي الرغم من الطلب الأمريكي للقادة العرب في الدول الخليجية والمعتدلة .. والإلحاح في الطلب " بنعم " والقادرة العرب وفي مقدمتهم مصر ينصحون بأن العلاج ليس في " نعم " ولكنه في أشياء كثيرة ومعروفة وواجبة التنفيذ والتطبيق .. ولكن الطلب الأمريكي كان " نعم " وقال العرب " لكم ما أردتم والعاقبة ستكون عليكم في الأزمات وقالوا " نعمين " وليس نعم واحدة .

وبالتخطيط وفن إدارة الأزمة ذهب أولمرت إلي الصين بحثا عن " نعم " باللغة الصينية أيضا

أولمرت في الصين

وكانت زيارة أولمرت للصين في الفترة من ٩ إلي ١١ يناير ٢٠٠٧ ليست بمناسبة الذكري الخامسة عشرة لأقامه علاقتهما الدبلوماسية كما أعلن ، ولكن دائماً ما يكون وراء الأمور أمور أخري طبقا لقرب وتناغم أسلوب التعامل حتى كانت سلة التفاوض حول " نعم " ولكن باللغة الصينية .. ولا تعول عزيزي القارئ علي فهم شيء واضح من إعلان النتائج في مثل هذه المحادثات.. فكلا الطرفين أمكر من ذلك بكثير وإن ظهر شيء فالباقي أكثر وان ظهر هذا الشيء فهو أن أولمرت سعي من خلال زيارته إلي التركيز علي التعاون خلال المرحلة المقبلة علي قطاعي الصناعة والتجارة البينية من ٣ مليارات دولار أمريكي في نهاية العام ٢٠٠٦ إلي ٥ مليارات بحلول عام ٢٠٠٨ و ٧ مليارات بحلول ٢٠١١ علي الرغم من شكاوي الإسرائيليين المتكررة من أن الصينيين تنافسيون ..وعلق أولمرت قائلا : " وأنا اعتبر الصينيين جيدين لأنهم تنافسيون " ثم بدأت تقترب الأقوال من الحقيقة عندما قال أولمرت هناك ، " إن الصين ليست قوة اقتصادية فحسب ، بل هي دولة مهمة أيضا وتلعب أدوارا محورية في العديد من القضايا الإقليمية والدولية " ثم أضاف " لا عجب أن يشعر كل الإسرائيليين بالامتنان للشعب

الصيني للطريقة الحارة والودية التي عاملوا بها خمسين ألف يهودي في كل من " شنغهاي وهاربين " وعلقت صحيفة " جلوبال تايمز " علي لسان الكاتب الصيني " تشاو "أن الواقع أن اليهود آنذاك كانوا عاطلين عن العمل وتنقصهم المواد الغذائية التي تبقيهم علي قيد الحياة .. وكان يحظر عليهم الخروج بحرية إلي الخارج عن المناطق السكنية المحددة لهم وبالتالي لم يكن أمامهم أي خيارات أخري سوي أن يتبادلوا مع جيرانهم من أهالي مدينة " شنغهاي " المواد الغذائية مقابل ما كان في حوزتهم من حلي ومصوغات ومواد ثمينة أخري .. خاتم ذهب مقابل كذا رغيف خبز .. أو سوار من الذهب مقابل كذا كيسا من الحبوب .. وهكذا وهو ما جعل اليهود يدركون حق الإدراك بأن في العالم أناسا مثلهم يتسمون بالدهاء .. بل قد يتفوقون عليهم .

وفيما يتعلق بالترويج لمقولة أن اليهودي عندما يري مواطنا صينيا يتجول في شوارع إسرائيل يهرع إليه ويعانقه ويصر علي استضافته في منزله لتناول الطعام ردا للجميل فهي أيضا ليست إلا كلاما لتهييج مشاعر الناس وعواطفهم .. والحقيقة أن صحفيا صينيا في إسرائيل قام بإصدار مجلة باللغة الصينية تنادي بحماية حقوق هؤلاء العمال.. فما لبث إلا أن وجد نفسه مطرودا من إسرائيل..

وفي النهاية فإني أري أن الاختيار الأمريكي لعقد صفقة " نعم " باللغة الصينية كانت موفقة جدا باختيار " أولمرت " بالذات .. وعلامة ذلك هو قبول استقال " حالوتس " رئيس الأركان الإسرائيلي بما يعني أن العجلة قد دارت والإجراءات كذلك تسير نحو الخطوات التالية ..

وبقي شيء جديد يجعل من الصورة أكثر وضوحا .. ليس بالظلال ولكن بألوان ظاهرة ومتعددة لتحكم المصالح والأغراض في الأرواح والشعوب أيضا .. حيث انه من الواضح والمعروف أيضا أن تجارة المعلومات هي من أكثر أنواع التجارة ربحية في العصر الحديث.. فهي مربحة للبائع .. ومربحة أيضا للمشتري حيث تهيئ له الفرصة للعمل الصحيح وفقا لما قدم له من معلومات .. واستطيع أن أوكد أن فرنسا هي صاحبة الفضل والابتكار والسبق أيضا في هذا المجال .. ومن مدة قصيرة حدث هذا أثناء غزو العراق وحصلت فرنسا بمقتضي المعاونة المعلوماتية علي الحصة التي كانت تحلم بها في كعكة إعادة أعمار العراق .. وها هي الآن تقوم بإرسال مستشارها للأمن القومي " موريس موتو " وهو مستشار الرئيس الفرنسي السابق جاك شيراك للأمن القومي للاجتماع مع مسئول أمني كبير في إيران في عاصمة أوروبية .. وذلك من أجل التباحث وتبادل المعلومات .. ويجمع ما يحصل عليه الفرنسي البارع من معلومات نتيجة إجابات محددة ومدروسة وإضافتها علي ما تحصل عليه المخابرات الفرنسية بنفسها أو بتعاونها مع الغير أيضا وبتحليل كل ذلك يمكنها الخروج بحصيلة وعقار معلوماتي جديد

ومؤشر يعطيها الحق في ثمن مالي مناسب في حالة حدوث الحرب في إيران ومماثل أيضا لما حدث في العراق ويغلف كل ذلك التصويت في مجلس الأمن والمشاركة في رفع أو خفض وتيرة الأحداث إعلاميا طبقا لما تقتضيه ظروف الأحداث .

تحليلات كيسنجر :

وعودة إلي الفكر والإستراتيجية الأمريكية من البداية حيث يحلل هنري كيسنجر جذور السلبية في السياسة الأمريكية مبينا أنها ترجع لتبني فكرة أن الوقت في صالح أمريكا .. وطالما أن النجاح النهائي مضمون فإنه لا يعود هناك مجال للاهتمام بعوامل التجديد والمبادرة وتنشأ اتجاهات سلبية لإرجاء اتخاذ القرارات الصعبة والانشغال بالاعتبارات التكتيكية اليومية .. ولذلك فإن ما تتبعه أمريكا من سياسات أصبحت تنقصها الحيوية ..وأصبحت المناقشات العامة تركز علي الأغراض لا علي الأسباب مما أدي إلي إصابة السياسة الأمريكية بالعقم في هذا الوقت بالذات .. فيما يطلق عليه " العصر الثوري " وإن عاد ليقول بأنه يوجد مع ذلك جوانب مشرقة بإمكانية معالجة نواحي الضعف باتخاذ مبادرات جديدة وتتأرجح السياسة الأمريكية ما بين القوة المضادة أو الردع المحدود ،وينادي أنصار إستراتيجية القوة المضادة بأن الردع يستلزم ليس فقط احتمال تدمير الصناعة والسكان المدنيين بل أيضا الهزيمة العسكرية ومن ثم فالهدف الأول يجب أن يكون القوة الضاربة للعدو قمتي تحطمت .. ثم التأكد من النصر " نظرية كلاوتزفيتز " ولذا فإستراتيجية القوة المضادة تتطلب قوة انتقامية كبيرة ومحمية بدرجة تضمن لها تحطيم قوة العدو الهجومية .

ويعود هنري ليؤكد حتمية تحصين القوة الانتقامية الأمريكية لأن وضع القوة الانتقامية لأمريكا في وضع غير محصن بينما القوات المعادية في وضع محصن يجعل مقدرة القوة الانتقامية علي الردع في حالة الحرب الشاملة منخفضة جدا ضد أي هجوم مفاجئ مقصود ..وتكاد تكون عديمة الفائدة في حالة العدوان المحدود.. ومن هنا وجب بادئ ذي بدء أن تكون القوات الأمريكية الرادعة في وضع محصن ومحمي ، وبما يمكنها من إحداث نتائج رائعة بالنسبة لها .. وفي ظل هذه الظروف فإن المخرج الوحيد الممكن قد يكون في العمل علي إيجاد حالة تجمد بتوجيه ضربة لكيان العدو القومي .. وينتهي كيسنجر في هذه النقطة إلي استنتاج بأنه ما لم يحدث اكتشاف تكنولوجي خطير فإن النصر في الحرب لا يمكن أن يتحقق إلا عن طريق هجوم مفاجئ .. ولكي يكون الردع فعالا فيجب أن تتوفر الشروط الآتية :

١- أن يكون تنفيذ التهديد الرادع مصدقا من جانب الطرف الآخر المضاد بدرجة تكفي لئلا يؤخذ التهديد علي أنه مجرد تمويه.
٢- أن يفهم العدو المحتمل تصميم الطرف الآخر علي مقاومة الضغط أو الهجوم.

٣- أن يكون العدو عاقلاً بمعني أنه يرعي مصالحه الخاصة في تصرفاته بصوره يمكن التكهن بها .
٤- أن يصل العدو المحتمل .. عند تقدير مصالحه الخاصة للنتائج التي يسعي الطرف الرادع إلي الإيحاء بها .. وبمعني أخر أن يدرك ويصل إلي نتيجة إن خسائره في المواجهة أكبر بكثير من فوائده.

طبيعة الحرب المحدودة :

لما كانت نتائج الحرب الشاملة يزداد الهلع منها وأصبح الاعتماد عليها كذلك أكثر سخفا فالفجوة بين التهديد الموجه لأغراض الردع وبين الإستراتيجية المزمع تنفيذها ستزداد اتساعا.. فأي زيادة في التدمير يقابلها تشكيك في قيمة الرد وفي إطار هذه الدائرة بالردع قد يفشل الردع فإن فشل فإن الاعتماد علي الردع الجماعي سيضمن النتيجة المباشرة.. ذلك أنه إما أن يؤدي إلي الاستسلام أو أبشع أنواع الحروب المسببة للكوارث وليس أمام أمريكا ما هو أكثر إلحاحا من أن تنسق بين سياستها الرادعة والإستراتيجية التي هي علي استعداد لتنفيذها .

وفي عصر الصواريخ سوف يكتسب الجانب الذي يستطيع أن يضيف مزيدا من القوة دون أن يلجأ إلي حرب شاملة .

وهنا يري كيسنجر أن الردع والإستراتيجية لا يمكن الفصل بينهما ، فالردع لا يعتمد فقط علي الانتقام من العدو بل يتعداه إلي احتمال حدوث العدوان .. وهذان العاملان يرتبطان ببعضهما بنسبة معكوسة .. فلو هبط احدهما جدا فشل الردع.. وإذا كان الجانب الذي يبغي الردع يؤكد رده ألتدميري علي حساب الثأر فقد يشجع العدوان ..

وإذا وضع اهتمام زائد علي إستراتيجية تصل تكاليفها إلي أدني حد فإن العقوبات ضد العدوان قد تصبح بسيطة جدا بالنسبة للردع الفعال فالتحدي الذي يواجه السياسة الأمريكية العسكرية هو إقامة اكبر توازن بين قوتها الرادعة وبين الإستراتيجية التي هي علي استعداد لتنفيذها لو فشل الردع .. فالردع قد يكون كافيا إذا لم يستطيع المعتدي إلحاق الهزيمة بالقوي العسكرية أيا كان الشكل الذي يتخذه العدوان . وهنا يقول كيسنجر :

" إن أصحاب النظريات في الحرب المحدودة لا ينكرون أن الخطر الذي تفرضه هذه الإستراتيجية علي المعتدي أقل من خطر الثأر الجماعي ذلك أن الغرض من إستراتيجية الحرب المحدودة هو أولا تقوية الردع وثانيا إذا حدث وفشل الردع فإنه توجد الفرصة للتسوية قبل أن تحتمي بها ذاتية القوي الثأرية .. والخلاصة أن الحرب المحدودة مبنية علي نوع من المساومة الماكرة لا تتعدي قيودا معينة.

أشكال الحرب المحدودة :

ويوجد هناك ثلاث ضرورات لإستراتيجية الحرب المحدودة وهي :

١- قدرة قوي الحرب المحدودة علي منع المعتدي من العدوان بغية إقرار الأمر الواقع .
٢- طبيعة تكوين هذه القوات بحيث لا يقيمها الطرف الآخر علي أنها مقدمة لحرب شاملة .
٣- ربط هذه القوات بدبلوماسية مقنعة بأن الحرب الشاملة ليست الرد الوحيد علي العدوان بل أن ثمة رغبة ملحة علي التفاوض من أجل تسوية حيث أن البعض يري أن القوة الثأرية تناسب الحرب المحدودة بسبب قدرتها علي الدخول في ثأر تدريجي أو حرب إستراتيجية محدودة .. كما أن البعض الأخر يحبذ إستراتيجية الثأر غير المباشر الذي يهدف إلي معاقبة المعتدي في مكان غير الذي وقع فيه العدوان .

وهناك مدرسة فكرية تركز علي أهمية الدفاع المحلي .. وكل هذه الإجراءات لها فائدتها في منع أو ردع العدوان وتقديم بديل للحرب الشاملة .. ومقاومة سياسة الأمر الواقع هي أساس الردع أو المنع.. فإذا قام الأمر الواقع فإن غرض الإستراتيجية لا يصبح حمل المعتدي الذي ينوي الاعتداء. علي الإحجام عن المهاجمة فقط بل يجب أن ترغمه هذه السياسة علي الانسحاب ذلك أنه عندما يقرر المعتدي الهجوم فإن العبء السيكولوجي يقع عليه ولابد له من أن يتخذ خطوة ايجابية .. مما سيرغمه علي التردد خاصة إذا بدأ أن هدفه بعيد المنال وعلي العكس فإن نال المعتدي بغيته فإن العبء السيكولوجي سيتغير لصالحه حيث يكون علي المدافع أن يقدر خطر القيام باتخاذ الخطوة الأولي.. ويقول هنا كيسنجر :

انه عند مقاومة الاحتلال يكون علي المدافع أن يختار بين الاستمرار في الدفاع عن النفس أو الاستسلام .

فإذا كان المعتدي قد حقق غرضه بالفعل فيمكن للمدافع تحقيق السلام عن طريق التسوية علي أساس الوضع الراهن الجديد .

ويوجد رأي في دراسة أمريكية مشابهة في هذا الصدد يقول " إن دول الشرق الأوسط في وضع لا يمكنها من مؤازرة بعضها البعض .. ويبقي هنا التساؤل الهام .

هل الحرب المحدودة نووية أم تقليدية ؟

ويتحكم في الوصول لهذه المعادلة حقيقتان ينبغي تفهمهما

الحقيقة الأولي : لم تعد أيه حرب في العصر النووي – تخلو تماما من شبح المواجهة النووية إلا إذا تقدمت إجراءات الرقابة علي السلام تقدما كبيرا بحيث يمكن الاعتماد عليها إلي مدي بعيد ..

فالواقع أن نشوب حرب بين قوتين نوويتين بأسلحة تقليدية هو اعتداء لا يمنع أيا منهما من أن يضع في الاعتبار إمكانية استخدام الأسلحة النووية .

الحقيقة الثانية : أن الاختيار بين استخدام الأسلحة التقليدية أو النووية لم يعد متاحا للولايات المتحدة فقد وجب علي من يواجهها أن يدرك بإمكانية استخدامها .

مميزات الإستراتيجية النووية:

١- سوف تتشتت الفرق العسكرية بين متطلبات النصر ومتطلبات المحافظة علي البلاد ولكي تسود الولايات المتحدة في حرب نووية فمن الضروري أن تكون لديها وحدات صغيرة سريعة الحركة أما الاحتفاظ بالأرض فيحتاج إلي تركيز أكبر وأضخم.
٢- سوف تفقد الحرب النووية تقديرات المعتدي ذلك أنها غير مألوفة.. فمع أنه يوجد خبراء كثيرون في الحرب التقليدية إلا أن تقديراتهم بالنسبة للحرب النووية لابد ومنطقيا أن تكون نظرية فقط ؟
٣- ستكون الحرب النووية وسيلة فعالة فالحرب النووية هي أفضل الوسائل لاستغلال متاعب العدو السياسية .
٤- الأسلحة النووية هي أفضل الأسلحة الموجودة لدي الولايات المتحدة الأمريكية بسبب تفوقها التكنولوجي.
٥- في حاله أتباع أي سبيل أخر سيفرض علي الولايات المتحدة متطلبات مؤداها أن تكون لديها قوة تقليدية متزايدة تتمتع بالأمن ووسائل الحماية وبالقدرة علي الحرب المحدودة .. وهذا ما يحدث الآن .. وبعد كل تلك الجولة في العقلية الأمريكية وعراب السياسة الأمريكية بالذات هنري كيسنجر فإنه مازال مقتنعاً " أنه ليس هناك من سبب فعلي يجعل الولايات المتحدة تتراجع عن حرب نووية . بل أنه علي العكس تؤكد كل الأسباب ضرورة استخدامها لتمتع الولايات المتحدة بتكنولوجيا بالغة التقدم في هذا الصدد وأنني أري أن كيسنجر منذ سنوات مضت يؤيد الإستراتيجية النووية .. فقد بدا له حينئذ أن الرادع الأكثر فاعلية لأي اعتداء جوهري هو التقيد من أن الولايات المتحدة سوف تستخدم الأسلحة النووية منذ البداية .. ومع ذلك فإن الحاجة إلي قوات قادرة علي خوض غمار حرب نووية محدودة تظل قائمة .. وبقي الشيء الذي يجعل من المستحيل إيجاد وصف متماسك لمفهوم الحرب النووية المحدودة .. فالسلاح الجوي يتصورها علي أنها مراقبة فضاء جوي محدود ..ويعتبرها الجيش حيوية لتحطيم الأهداف التكتيكية التي يمكن أن تؤثر علي العمليات الأرضية بما فيها مراكز المواصلات .

أما الأسطول فيهمه في المرتبة الأولي التخلص من المنشآت في الموانى.. وللتوفيق بين هذه الاتجاهات فقد سمح لكل سلاح بتدمير كل ما يعتبره ضروريا بالنسبة لمهمته، والحرب النووية المحدود التي تخوضها الولايات المتحدة علي هذا النحو قد تصبح لا فرق بينها وبين الحرب النووية الشاملة.

ومازالت أمريكا تجد في السلاح النووي الأمان والدرع والحماية.. فإن الأحداث الجسام تفرض شروطا معينة لم تكن في التقدير أو الحسبان واكبر دليل علي ذلك أن الولايات المتحدة لكي تدخل مثلا في لبنان وهي بلد ضعيف للغاية تسبب ذلك في سحب فرقتين من ألمانيا ومنعت عن العمل معظم وسائل النقل الاستراتيجي .. أي أنها أضعفت أكثر المناطق حساسية في أوروبا في الوقت واللحظة التي بلغ بها التوتر الدولي مداه ..

وأخيرا عزيزي فقد حدثني صديق سياسي أيضا عن أن المجهود الذي بذل في البحث عن احتمالات الضربة بين أمريكا وإيران قد باء بالفشل – خاصة بعد أن أعلن متحدث باسم البيت الأبيض عن عدم نية أمريكا ضرب إيران .. فقلت له " إذا سوف استمر في كتابه البحث الثاني وفي نفس المنطقة ولكن بالمنظور الأمريكي... ووفقا لأقواله ونظرياته ومصلحته أيضا.. فهل نحن من السذاجة بان نصدق كل ما يقال "

ويقول المثل الشعبي " أسمع كلامك أصدقك .. أشوف أمورك استعجب " ومازلنا في انتظار العجب.."

الفصل الخامس

وضحت الرؤيـة ..

الترتيبات النهائية قبل ساعة الحسم

عندما بدأ لـي القدم الأمريكـي يتجه نحو الغوص فـي المستنقع العراقـي وتلك مهنتـي وفهمـي .. وشكلت أمريكـا لجنـة بحـث واستقصـاء عملـي علـي أرض الواقـع فـي العـراق وعبـر دوائـر " الكونفرانس " لبحث كيفيـة الإنقـاذ وقلت " عفوا.. كيسنجر " فليس اليوم يومك وأمريكا تحتاج إلي فكر آخر .. وفـي النهايـة توقعت أن ترفض كل الاقتراحات وسوف تعود أمريكـا رغم كل الخسائر إلي فكر العراب السياسـي الداهيـة هنـري كيسنجر ، لأن ميول فريق الحكم فـي أمريكـا تميل إلـي أفكـار وغوايـة هنـري ، وغاصـت أمريكـا فـي المستنقع العراقـي ، وبـدأت تنزلـق نحـو الأرض الفارسية الأعمق والأخطر وتم – كما في المرة الأولي – تشكيل لجنة وهذه المرة بقيادة العراب الآخر " بيكر " وبمعاونة " هاملتون " ، وتوقع الجميع خيرا وبدأت التباشير بالانسحاب وعودة السلام .. ولكن توقعنا أيضا أن ترفض لجنـة بيكر – هاملتون ورفضت أفكارها ، وعـاد فريـق الحكم إلـي غوايـة كيسنجر أيضـا ، وقلنـا مـرة أخـري " عفـوا .. جـاءت أمريكـا لتبقـي " وظهـرت نتـائج منـاورة الحـرب الالكترونيـة والتـي أطلـق عليهـا " المطرقـة الاسبرطية " وهـي أضخم مناورة تجسس للناتو في اليونان وقام بها فريق خـاص بجنـاح التجسس لحلف الأطلنطـي علي أحدث أجهزة التجسس والتصنت ، وتشمل معدات التدخل الالكتروني والمراقبة والتصوير في إطار التجهيز للحرب علي الإرهاب في البر والبحر . وقام الفريق الذي يبلغ أكثر من ألف خبير من ١٢ دولة تابعة للناتو منهم ٧٠٠ من بلدان غير اليونان واشتركت طائرات تجسس ذات إمكانيات تكنولوجية عالية وتمت المناورة في المنطقة الواقعة بين شرق شبه جزيرة "البيلولونيز " و " لاديسا" في الشمال وقاعدة " شوذا " في جزيرة " كريت " .. وبدأ بزوغ الهلال .. وفـي الاحتفالات والمناسبات الدينية في عالمنا العربي والإسلامي ترتبط ارتباطا وثيقا بظهور هلال القمر أو اختفائه .. وتظل في كل مناسبة وقبل حلولها بعدة أيام في حالة ترقب وانتظار .. بل واختلاف أيضا وفي كل مرة تظهر الفتاوى العديدة التي تتعلق بظهور الهلال ونسمع تارة عن فتوى الاشتراك في جزء من الليل وهي توجب الالتزام علي الجميع وتارة تختفي !! ومع ذلك فنحن نصوم ونفطر طبقا لما يريد أن يطبقه فضيلة مفتي الديار التزاما واقتناعا بالالتزام بالجماعة .. أما ما يحدث في القلب فليس بأيدينا .. وعفوا فضيلة المفتي فرؤية أحداث الشرق الأوسط لم تعد خافية أو مشكوكا فيها وإنما ظهرت الرؤية واضحة تماما للعيان ولكل عين

مبصرة وعقل فاهم .. وعفوا نحن في حاجة إلي فتوى جزء من الليل .. لأن الليل سوف يكون بكامله وحالكا ومظلما علي كل المنطقة فوجب علي الجميع الاستعداد وحتمية ترتيب الأوراق

تعاون الناتو :

وكالعادة وكما تعودنا دوما فقد ظهرت الرؤية كأول ما تظهر في المملكة العربية السعودية الشقيقة حيث أعلن وزير الخارجية " سعود الفيصل " مؤكدا " تقدير السعودية لتوجيه حلف الناتو للتعاون مع دول المنطقة بما فيها دول الخليج العربي .. معتبراً أن التعاون في مجالات تبادل المعلومات والخبرات والتقنيات المرتبطة بمكافحة الإرهاب وأمن الحدود ومكافحة الإرهاب وإدارة الكوارث ومنع انتشار أسلحة الدمار الشامل " وأشار خلال افتتاحه ندوة الناتو ودول مجلس التعاون الخليجي ضمن إطار مبادرة اسطنبول التي عقدت في الرياض " إن أي تعاون مجد لابد أن يستند إلي احترام سيادة الدول وخصوصيات مجتمعنا وخياراتها السياسية والفكرية .. وهذا ما يعني أن المشاركين معروفون والعازفين موجودون وللقرار متخذون .. " علي نمط السيرة الهلالية .. " والشيء بالشيء يذكر وكالعادة أيضا وتكرارا لأحداث العقود الأخيرة ظهرت الرؤية أيضا في القاهرة حيث أوردت كل الصحف القومية المصرية أخبار لقاء الفريق سامي عنان رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية والفريق " برايموند هينو " رئيس اللجنة العسكرية بحلف شمال الأطلنطي .. " أليس ترتيب الأوراق بضرورة حتمية " وتناول اللقاء بحث سبل دعم التعاون والعلاقات العسكرية بين قواتنا المسلحة والحلف .. وقد حضر اللقاء عدد من كبار قادة القوات المسلحة .. وهذا هو نص الخبر كما أوردته وأظهرته صحف القاهرة القومية.. ثم جاءت الأنباء من تل أبيب حيث أنها وطبقا للفتوى – مشتركة في جزء من الليل .. ولو من باب المكان والجغرافيا .. وبدأت اجتماعات المنتدى السنوي للتعاون الاستراتيجي الأمريكي – الإسرائيلي الذي يركز البحث في البرنامج النووي الإيراني وكيفية المواجهة .. والتهديد الذي تشكله إيران علي المنطقة ومن أهم الملفات المطروحة بحث التطورات العسكرية في العراق ومكافحة الإرهاب وتمويله ووسائل الحفاظ علي التفوق العسكري الإسرائيلي علي الدول الأخرى المحيطة في الشرق الأوسط .. وأكد السفير الإسرائيلي السابق في واشنطن في هذا الصدد " داني يعالون " " أن هذا المنتدى يعتبر مناسبة مهمة لإدراج المخاوف الإسرائيلية في الأفكار الإستراتيجية للولايات المتحدة.. " تمنح الولايات المتحدة إسرائيل ٣ مليارات دولار سنويا بينها مليارات من المساعدات العسكرية بينما يرتبط الجانبان باتفاق للتعاون الاستراتيجي ... " وفي " عمان " عاصمة الأردن أعلن " خافيير سولانا " الممثل الأعلى للسياسات الأمنية والدبلوماسية في الاتحاد الأوروبي السابق أنه قد حان الوقت لبدء عملية سياسة تنهي حل الصراع العربي الإسرائيلي " .. وسبحان الله ولا إله إلا الله .. فيكاد العقل يجن من التعجب

والاندهاش .. فما الجديد في الشرق الأوسط منذ ما يزيد علي نصف قرن وحتى الآن .. ومن شهرين فقط حضر إلينا " خافيير سولانا " ولم يقل هذه الكلمات..

وهل يعقل أو نصدق أن الأوان قد آن لحل مشكلة الشرق الأوسط .. ولماذا كانت كل تلك المعاهد الشرق أوسطية ومعاهد الدراسات الدولية وشهادات الدكتوراه في مشكلة الشرق الأوسط والحروب العديدة والأرواح والأموال والعلماء الذين لم يستطع واحد منهم أن يتنبأ بالأوان الذي آن لكي تحل مشكلة الصراع العربي الإسرائيلي .. حتى جاءنا " خافيير سولانا " بالخبر اليقين والموعد المتين لكي تحل مشكلة الشرق الأوسط ! ومعه أيضا المفتاح السحري لحل القضية حيث أعلن " أنه كانت تنقصنا فقط وما نحتاجه .. هو الإرادة السياسية !!" " ألم أقل لك عزيزي القارئ سابقا إن مشكلة الشرق الأوسط والإيحاء بحصولها هو المفتاح السحري للتعامل مع دول المنطقة وتجهيزهم لبلع ما يشتهي الغرب ويريدهم أن يبتلعوه .. "

الإرادة السياسية:

وآه وألف آه من تلك الإرادة السياسية الملعونة والتي اختفت قرابة الخمسين عاما ... سقط الملايين من الأبرياء والمدنيين والشهداء بحثا عنها .. وشكرا لله أن وفق مستر " خافيير سولانا " الذي دلنا عليها !!! وقد أعلن ذلك مضيفا في المؤتمر الصحفي الذي عقده في ختام زيارته للأردن وقبل توجهه إلي إسرائيل " نعلم جيدا أن نهج إدارة الأزمات لم يتم.. بل أدي إلي إطالة وتعميق معاناة الناس..." موضحا " أن الهدف من جولته الحالية هو سعي الأصدقاء في العالم العربي والجهود والإرادة السياسية والحماس لبدء هذه العملية في أسرع وقت ممكن .. " ولم يعد لدي عزيزي القارئ ما اكتبه أو اعبر به تعليقا علي هذه الكلمات سوي الدعاء بعد اختفاء تلك الملعونة " الإرادة السياسية " مرة أخري والتي دلنا عليها " خافيير سولانا" والتي أخشي أن تظهر في كوكب أخر ربما بلوتو أو المريخ ... وربما عطارد .. " ولا ندري متى ؟!! وطبقا لمنطق الرؤية وبهذه المناسبة حضر الرئيس الباكستاني السابق " برويز مشرف " إلي السعودية ثم إلي القاهرة فالأردن متجها إلي دمشق .. بحثا عن الأدوار وقراءة السيناريو الجديد للرواية الجديدة والاحتفال بالرؤية وظهور الهلال .. " أليست دولة إسلامية .." وتذكرنا بأنها لم تقم علاقة كاملة مع إسرائيل حتى الآن وينطبق عليها علم المواريث بالأحقية والأنصبة طبقا للقرابة والمشاركة ولو حتى من باب المثل الشعبي الذي يقول " إن هدم بيت ابيك .. فأسرع وخذ منه ولو شباك .. " وبعد لقاء القاهرة أعلن وزير الخارجية الباكستاني " خورشيد قاصوري " أن هناك اتفاقا علي ضرورة العمل المشترك بين القوي الإسلامية بما يؤدي لتحقيق انفراجه في الأوضاع وتسويات علي الأرض في العالمين العربي والإسلامي .. وكان يتحدث بعمق وترو معبرا ومتأثرا كما أوضح " إن ما يحدث في العالم الإسلامي خلال الفترة الماضية يؤثر علي باكستان مباشرة " ومعبرا في نهاية اللقاء وبحسرة وألم "انه سوء الحظ فإن باكستان مازالت

تدفع الثمن .." ولذلك لا يمكننا أن نظل في موقع المتفرجين وفي النهاية أضاف " قاصوري " " إن هناك حاجة إلي التوافق بين الدول الإسلامية والعربية أو غير العربية ولابد أن نفكر ي بذلك الجهود لإيجاد آفاق جديدة أفضل .. ولذلك فإننا لا نركز فقط علي العالم الإسلامي وإنما علي العالم ككل .. ولأنه ما لم نشرك أطرافا أخري في العالم فلن نحقق أهدافنا .. وهناك مربط الفرس والمغزى من كل ما قال وإلي هنا نقول " لافض فوك " وكفاية .. لم نعد نرغب في المزيد وفهمنا أكثر مما نتوقع أن نفهم ونعرف..!! ولكن بعد كل هذا وما لا أعرف كيف أربط أو أعبر عنه هو كيفية ربط العلاقة بين أقوال وزير الخارجية وقول الرئيس السابق" برويز مشرف " في أثناء الجولة أيضا " باكستان تثمن العلاقات الودود مع إيران !! فهي جارة قريبة تتشارك معها في التاريخ والجغرافيا والدين والثقافة.. ونحن نحترم حق إيران في طاقة نووية سليمة تتبع محددات الأمان وضمانات الوكالة الدولية للطاقة الذرية، وكما نعتقد أيضا أنه يتعين علي إيران التفكير في اتخاذ تدابير لبناء الثقة مع العالم فيما يتصل بالطبيعة السلمية لبرنامجها النووي !!!

فهامة جاهين

ولم أفهم كي ادعي الذكاء وفكرت فيمن أعرفه حتى يكون وسيطا للأخ العزيز بهاء جاهين كي يعيرني " فهامه " والده العزيز المرحوم صلاح جاهين كي أفهم بها متعهداً بإرجاعها في اليوم التالي سواء فهمت أو لم أفهم وحاولت البحث في المراجع القديمة أو المخطوطات حتى لا أخطئ " هل هناك نبوءة .. أو فتوى " بأن يكون السلاح النووي في يد إسرائيل وباكستان فقط !! وهل هو خيار قدري محتوم " وهذا بصرف النظر عن الرأي الخاص بي في هذا الشأن، .. ولكنه التفكير المنطقي الواجب حتى يباح لهما هذا السلاح والباقي عليه أن يتخذ خطوات بناء الثقة بأن هذا البرنامج للأغراض السلمية لأنه ما عدا ذلك فهو حرام ووساوس شيطانية يجب أن يؤدب ويعزر عليها من يتطاول عليها حتى يتبرأ منها !! أليس الحقيقة والحق أن يكون الشرق الأوسط خاليا من أسلحة الدمار الشامل بما فيها السلاح النووي ..!! فهي منطقة مسالمة وهادئة بطبيعتها ولكونها كذلك اختارها الله مهبطاً للوحي لدياناته السماوية وكتبه المقدسة !! لقد حاولت الفهم وليتني فهمت ..!! و لم أتوقع أن الرئيس الباكستاني نفسه ووزير خارجيته أن (روليت السياسة للقطبية الواحدة) كان يتجه عليه و على دولته الباكستانية بعد أن كان يتحدث بثقة (وهل توجد ثقة في أيام الريبة و الشك) و عوقب على مواقفه في بداية الحرب الأمريكية الأفغانية و تلاعب مؤشر العقاب في الداخل الباكستاني و خلع برويز مشرف و حضرت بنظير بوتو باستدعاء امبراطورى أمريكي و دخلت باكستان لتجد القدر المحتوم و تغتال في الشارع الباكستاني ثم يتولى زوجها ؟؟ و جارى البحث منذ ذلك اليوم

باكستان و من يجدها يتصل برقم ...؟؟؟ (انظر برويز مشرف في شخصيات بين الأسطورة و الواقع للكاتب)

وعودة إلي منطق الأحداث والرؤية فإن حركة الأحداث يومية وبأسرع بكثير من المعدل الطبيعي وحتمية الاستعداد والتقدير .. و رغم أن الأحداث جسام وتتضاءل أمامها أي خلافات أيا كان مقدارها أو معيارها وطبقاً للفتوى فليس هناك جزء من الليل ولكنه الليل كله بسواده الحالك وعلي المنطقة بكاملها ، فوجب الصيام عن الكلام وفرض الفعل ومصلحة الشعوب ..! و رغم أن أمريكا دولة غير إسلامية ولكن أصبح بها جالية إسلامية داخلية أو مهاجرة إليها وعددها لا بأس به فوجب الإعلان عن الرؤية ولا يوجد أحد أفضل من أحد إلا بالتقوى.. وليس بالنووي .. فقد أعلن عن تهديدات أمريكية صريحة باستخدام القوة ضد إيران إذا لزم الأمر.

و المهم أن الرؤية علي لسان نيكولاف بيرتزي مساعد وزير الخارجية الأمريكية للشئون السياسية " بأن بلاده سوف تستخدم القوة العسكرية ضد إيران إذا لزم الأمر .. " وقال في محاضرة ألقاها في مركز دراسات الخليج في دبي " إن إيران يجب أن تفهم وتدرك جيداً أن واشنطن لن تسمح لها بالهيمنة علي الشرق الأوسط ودول الخليج .. " ويتم هذا بالطبع كنوع من الاطمئنان لدول الخليج لتجهيز الفاتورة الدولارية والتي يجب أن تكون بالطبع عربية وهي الجانب الأكبر من المساهمة .. وإلا لماذا ارتفعت أسعار النفط في الفترة السابقة وبدون سابق إنذار وبأسباب واهية وفي الحقيقة فإنه عندما وصلت عوائد فروق الأسعار إلي ما يكفي الإنفاق الحالي.. عادت الأسعار لتنخفض أكثر من عشرين دولارا للبرميل مرة واحدة ودون أسباب أيضاً والمصب واحد مهما كانت المنابع وسوف يدفع العرب بالرضا وإلا .. والتجربة عودتهم أنهم سوف يدفعون ما يأخذون بعد خصم رسوم التحصيل فقط بالطبع ! بعد أن أوضحت أمريكا لهم بأن مارد الفرس بدأت تدب في أوصاله الحياة من جديد وبدأ يتململ داخل المصباح في انتظار التعويذة النووية وحنت قلوب العرب شوقاً إلي ذكريات الشعر العربي مرة أخري .

وجند كسري غداة الحنو صبحهم

منا غطاريف ترجو الموت وانصرف

لقوا ململمة شهباء يقدمها

للموت لا عاجز فيها ولا خرف

بيض الصفائح لا سود الصحائف

في متونهن جلاء الشك والريب

دور البطولة :

ألم أقل لك عزيزي القارئ إن التاريخ يعود دوماً .. أوليست إيران دولة إسلامية أيضا ولم لا تظهر فيها الرؤية وبأي فتوى أو زاوية تريد ؟ فالدين الإسلامي روحه سمحة والدين لله والوطن للجميع .. فقد أتهم سكرتير مجلس مصلحة النظام في إيران " محسن رضائي " الولايات المتحدة بالتخطيط لنقل المواجهة إلي داخل إيران مؤكدا أن مواجهة أمريكية إيرانية " قادمة لا محالة " وأوضح في مقابلة مع صحفية " البيان " الإماراتية أن واشنطن تخطط خلال الشهرين المقبلين لنقل المواجهة إلي الداخل الإيراني لإثارة الفتن المذهبية وتحريض الناس ضد الثورة وتقديم المساعدة للحركات المعادية لإيران والقيام بعمليات في الداخل الإيراني ، ولم يستبعد رضائي قيام الولايات المتحدة الأمريكية بشن هجمات صاروخية ضد مواقع إيران النووية . وعقب الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد مجدداً " بأن القرار الذي اتخذ مجلس الأمن ضد بلاده لن يؤثر علي سياستها النووية " حتى وإن أصدر عشرة قرارات أخري مثلها " .. وإلي هنا عزيزي القارئ فلم يعد للشك في الرؤية مكان وظهرت الرؤية واضحة كاملة لمن يري .. ومن منا بعد ذلك لا يستطيع أن يتخيل ويري ويدرك ما يحدث في مثل هذه المناسبات لما يحفظه في ذاكرته من تكرارها ، ولاشك أن دور البطولة ربما يكون هذه المرة " لحلف الناتو " كما حدث من مشاركة وتحالف في الحرب ضد محمد علي باشا وتحالف حرب كوريا والتحالف الدولي الأخير في العراق ..

ثم يأتي في دور البطولة النسائية بعض الدول الأسيوية بحثا عن الشهرة والرزق أيضا ، فقد ذكرت صحيفة " زمان اليوم " التركية أن الجيش يستعد للقيام بعملية عسكرية بالتنسيق مع القوات الأمريكية فيما وراء الحدود للقضاء علي الإرهاب . وأشارت الصحيفة إلي أن العملية ستكون بنهاية شهر فبراير وبداية شهر مارس ، وعلي صعيد أخر أجري رجب طيب أردوغان رئيس الوزراء التركي محادثات مع وزير الخارجية السعودي سعود الفيصل الذي زار أنقرة لبحث عدد من الموضوعات الإقليمية كما أعلن ، كما اجري الوزير السعودي محادثات مع نظيره التركي " عبد الله جول وربما يكون في أرضية مسرح الأحداث القوات الأمريكية الأساسية في قواعد ثلاث في العراق محمية بكثافة بصواريخ وطائرات ومدافع عنها براً وجواً ثم تشارك البوارج وحاملات السفن والطائرات من بعد ، وكما حدث أيضاً بصواريخ " كروز " أو أي أسلحة أخري لم يعلن عنها ولم لا ولم يعد لدينا إلا سؤال الله السلامة والأمان وحتماً يوجد بينما من هو متقبل الدعاء ولو أقسم علي الله لأبره ..

الفصل السادس

رؤية كيسنجريه

فى دراسة جديدة وكاتبها يستحق الدراسة علي أي شيء يكتبه وهو هنري كيسنجر وبصدر رحب انطلاقا من مبدأ الرأي والرأي الآخر وتكون بعدها الأيام هي الفصل والختام .. أليست تلك هي الأمانة في عنق الكاتب وذلك هو عهد القلم واحترامه .. وتحوي الدراسة أن ثمة أمما قليلة في العالم يكون لدي الولايات المتحدة أسباب أقل للتشاجر معها أو مصالح أكثر توافقا معها مما هو الحال مع إيران .. ورغم أن الشاه في السبعينات أصبح رمزاً للصداقة بين البلدين فهذه المصالح لم تعتمد قط علي شخصية واحدة فهي تعكس حقائق سياسية وإستراتيجية لاتزال مستمرة إلي يومنا هذا .. وليس لدي الولايات المتحدة مصلحة يمكن تخليها في السيطرة علي إيران كما يدعي الحاكمون الآن ...تلك كلمات كيسنجر

خطط كيسنجر للتهدئة

ففي أثناء الحرب الباردة كانت مصلحة أمريكا في المحافظة علي استقلال إيران بعيدا عن الخطر الروسي الذي كان دوما هو المصدر التاريخي للضغوط والاعتداءات علي تلك الدولة .. ففي القرن التاسع عشر حال التدخل البريطاني يحفزه الدفاع عن الهند والطرق البحرية الموصلة إليها دون وقوع أجزاء كبيرة من إيران في قبضة روسيا الإمبراطورية ، كما حصل مع دول أسيا الوسطي المجاورة التي احتلها القياصرة ، ولولا تدخل أمريكا في عام ١٩٤٦ لكان إقليم اذربيجان شمال غربي إيران قد وقع في قضية الاتحاد السوفيتي كخطوة أولي نحو تفكيك البلاد وخلال الحرب الباردة ساعدت إيران في مقاومة الضغط الروسي علي أفغانستان والنفاذ إلي الشرق الأوسط .. وتماشت مصلحة أمريكا مع طلب إيران بالاستقلال فقد شعر العديد من صانعي السياسة الأمريكيين في تلك الحقبة والمراقبون والمهتمون وبمن فيهم أنا بالامتنان العميق لدعم الشاه للولايات المتحدة في أزمات الحرب الباردة المختلفة .. " غير أن حافزنا الأساسي لم يكن العاطفة بقدر ما كان تقدير أهمية جغرافية إيران ومواردها ومواهب شعبها "..
ولا يوجد حافز جيوسياسي أمريكي للعداء بين إيران والولايات المتحدة غير أن إيران مستمرة في توفير الأسباب التي تبقي أمريكا بعيدة عنها فقد عبرت الولايات المتحدة عبر العديد من الإدارات عن استعدادها لتسويه العلاقات مع إيران " وقدر إيران لعب دور حيوي – وحاسم

أحيانا – في الخليج وفي العالم الإسلامي " ولا تحتاج الحكومة الأمريكية الحكيمة إلي أية توجيهات بشأن الرغبة في تحسين العلاقات مع إيران .

حكومات طهران :

ولاتزال العقبة الأساسية متمثله في الحكومة في طهران منذ الإطاحة بالشاه سنة ١٩٧٩ والحكم في إيران منخرط في سلسلة خروقات لمبادئ السلوك الدولي المقبول . العديد منها موجه بصراحة ضد الولايات المتحدة فما بين ١٩٧٩ ، ١٩٨١ احتجز طلاب إيرانيون خمسين دبلوماسيا كرهائن لمده أربعين شهرا وخلال الثمانينات كانت المنظمات الممولة والمدعومة من طهران مسئوله عن عمليات اختطاف استهدفت أمريكيين وغربيين آخرين في بيروت ، كما وفر النظام في طهران الدعم الأساسي للمجموعات التي قتلت عدة مئات من الجنود الأمريكيين في بيروت . وهو يمول أيضا مخيمات التدريب في السودان .. كما أن الدلائل الموجودة تشير إلي أن مجموعات ترعاها إيران هي التي فجرت الثكنات العسكرية الأمريكية في أبراج الخبر في السعودية والتي أسفرت عن مقتل عشرة أمريكيين في عام ١٩٩٦ وفي فرنسا جري اغتيال مسئول إيراني سابق من قبل عملاء إيرانيين أطلق سراحهم لاحقا في عملية تبادل مقابل الإفراج عن رهينة فرنسية احتجزت في بيروت ، وأصدر آيات الله الإيرانيون حكما بقتل سلمان رشدي لم ينقض حتى الآن ، برغم أن الحكومة " نأت " بنفسها عنه بصرف النظر عما يعنيه ذلك .. وإذا تجاوزنا عن ذلك وجدنا إيران فعلت ما بوسعها لإضعاف دبلوماسية السلام في الشرق الأوسط فطهران هي الراعية لحزب الله الذي يستمر في مقاومته المسلحة للسلام مع إسرائيل .. كما تقدم إيران دعما ماديا كبيرا لحركة حماس والجهاد الإسلامي اللتين تدعيان المسئولية عن الهجمات ضد المدنيين الإسرائيليين .. ويعمل النظام الإيراني الآن علي تطوير برنامجه النووي وبناء صواريخ بعيدة المدى ومتوسطة قادرة علي ضرب الشرق الأوسط ومعظم أوروبا الوسطي ويسعي إلي تطوير القدرات النووية السرية باستخدام تكنولوجيا مزدوجة كانت من الغرب مع بعض الدعم من روسيا ثم تحولت إلي دعم كامل من روسيا مع نهاية الدعم الصيني التكنولوجي .. برغم توقيعها علي معاهدة الحد من انتشار الأسلحة النووية والسؤال الأساسي المطروح علي صانعي السياسة الأمريكيين هو هل هذه التصرفات جزء من طبيعة النظام في طهران أم أنه من الممكن إنشاء علاقة ترتكز علي عدم الاعتداء المتبادل . لقد أصبحت هذه القضية جزءاً من الخلافات مع الحلفاء الأوروبيين بما يعرض العلاقة الأطلسية إلي الاختبار .

تحسين العلاقات

حيث يستند الخلاف في أحد جوانبه علي ما إذا كانت الشركات الأوروبية والشركات الأمريكية المقيمة في أوروبا تخضع للجزاءات التي أجازها الكونجرس الأمريكي ضد منتهكي العقوبات .. لقد أشرت في مواضع أخري إلي القلق حول مدي الاستخدام المبالغ فيه للعقوبات فمن الصعب تبرير تطبيق قوانين خارج حدود الأراضي الأمريكية علي الحلفاء .. وهذا يتطلب إعادة النظر في الموقف لكن القضية الأساسية ليست في الأساس القانوني للإستراتيجية الأمريكية ولكن فيما إذا كان تحسين العلاقات مع طهران يمكن أن يتم بتقديم تنازلات من جانب واحد بدون طلب شيء في المقابل ؟ فهل الاندفاع نحو طهران عقبة أمام اقامه علاقات ودية هي نفسها ليست موقع خلاف ؟ وهل سيساعد تقديم تنازلات مستمرة من جانب واحد في وجه السياسات الإيرانية المتصلبة أم سيعيق تحقيق هدف متفق عليه من أجل علاقة أفضل ؟ وفي خضم هذا الاختلاف نجد إصرار الحلفاء الأوروبيين علي ما يسمونه " بالحوار الحرج مع إيران وهم يرون بأن حوارهم يقصد منه استكشاف احتمالات تلطيف سياسة إيران وسوف يتضمن دائما انتقاداً لانتهاكات حقوق الإنسان في إيران وغيرها من الأفعال غير المقبولة وباختصار سيكون إسهاما في تخفيف التوترات " دون أن نذكر التوقيع علي العديد من صفقات النفط والغاز المربحة " والاقتراح بأن الإيماءات أحادية الجانب سوف تخفف بشكل أو بأخر العدائية الإيرانية يمثل في جوهره التطبيق " الصحيح من الناحية السياسية " للنظرية النفسية علي السياسة أنظر إلي مرتكب الجريمة علي أنه ضحية انحراف كما يزعم نتيجة ضغوط خارجة عن إرادته وسيطرته .." ولكن عندما تطبق علي الانتهاكات الإيرانية لن يوجد أدني دليل يدعمها ومن المرجح أن تعمل التنازلات أحادية الجانب علي تعزيز التصلب الإيراني بدلا من تخفيفه فما الداعي إلي التغيير عندما لا تكون أهداف السياسة المستندة إلي الأيديولوجية تواقة جدا إلي التكيف ؟ وفي كل الأحوال ينبغي أن يتعدي النقاش التوقعات النظرية .

وإذا ما أريد تحسين العلاقات مع النظام الإسلامي الإيراني ينبغي أولا ربطها بالتخلي عن تصدير الإرهاب والثورة بالقوة والتدمير وكبح الإرهاب ووقف التدخل في دبلوماسية السلام في الشرق الأوسط وبالتزامن مع ذلك يتعين حصول تقديم بالنسبة إلي حيازة إيران للصواريخ والأسلحة النووية .. وإذا كان هناك استعداد جدي من قبل إيران للتقدم نحو تحسين العلاقات يمكن القيام بسلسلة خطوات متوازنة ومتبادلة لتحقيق تقدم ملموس بشرط أن يكون حكام إيران علي استعداد لتقبل علاقات اعتيادية . ولن تكون آلية مثل هذا النهج صعبة التحقيق وتستطيع الإدارة الأمريكية الجديدة أن تعين ممثلا موثقا به أو ناطقا موثقا " غير رسمي " لتسيير الأمور سرا في البداية فإذا ما كان من الممكن الموافقة علي سلسلة من التدابير المتبادلة التي تؤدي إلي تحسن تدريجي في العلاقات بل أن الولايات المتحدة قد توافق بعد الحوار التمهيدي علي اتخاذ بضع خطوات رمزية أولا شرط أن تتبعها تحركات إيرانية في إطار زمني

ذي صلة واضحة بالتحركات التمهيدية.. وإذا كان حلفاء أمريكا يعتقدون أنها لم تستكشف الخيارات الدبلوماسية بما فيه الكفاية فعلي الولايات المتحدة أن تكون مستعدة للشروع في دبلوماسية جدية مشتركة .وينبغي نظريا علي الأقل أن تكون هناك مجموعة مصالح ستكون الدول الأوروبية أولي ضحايا انتشار الأصولية الإسلامية والصواريخ الإيرانية متوسطة المدى وعندما تصبح دولة نووية ستثبت إيران أنها أكثر خطرا علي أوروبا من الولايات المتحدة.. وإذا انفجر الخليج ستكون الدول الأوروبية أول من يطلب النفاذ إلي موارد الطاقة الأمريكية لكي تتجنب كارثة اقتصادية.

هدف بعيد المدى

والسياسة الخارجية تخلص دائما إلي اتخاذ القرارات وتتطلب السياسة الفعالة لمقاومة الإرهاب وانتشار الأسلحة من الغرب والاستعداد لتقديم تضحيات من أجل هدف أكبر بعيد المدى وهناك أوقات يتعين فيها أن تكون المصالح الاقتصادية مستعدة للخضوع للمصالح الأمنية الأوسع والزعامة الأمريكية ضرورية للتوصل إلي هذه المقايضة بخصوص إيران .. وفي نفس الوقت إذا تحول الحلف إلي ركوب مجاني لطرف واحد فإنه لن يحظي بمساندة الرأي العام .. وينبغي بذل مجهود رئيسي للتوصل إلي إجماع عبر الأطلسي يربط الدبلوماسية بضغوط معقولة ومقترحات دبلوماسية متفق عليها تجاه إيران أو بإتباع سياسة ثابتة ومتماسكة وتصالحيه يمكن استعجال اليوم الذي تصبح فيه إيران مستعدة لاتخاذ إجراءات ملموسة تمثل الأساس الوحيد الذي يعتمد عليه من اجل علاقة تعاون بعيدة المدى .. عزيزي القارئ وبكل الشجاعة كان الاستعراض الأمين للنظرية والدراسة الكسنجرية الجديدة ولكن في نفس الوقت وتزامنا مع بداية الإعداد لهذه الدراسة والمواقف صدرت تصريحات للرئيس الفرنسي السابق جاك شيراك حيث جمع مندوبو ثلاث صحف شهيرة في باريس وصرح لهم بأنه لا توجد ثمه أهمية كبري لأن نترك إيران تنتج أسلحة نووية وإذا ما حاولت ضرب إسرائيل فقبل أن تغادر هذه الصواريخ إيران بمائتي متر (٢٠٠ متر) فسوف تمحي طهران من الوجود .." وكما نعلم أن جاك شيراك ليس من الرؤساء الذين يصرحون بتصريحات غير مدروسة أو معمقة وفق البحوث والدراسات والقرارات أيضاً ولكن وعلي ما يبدو وكان الانتقاد من الحلفاء والأصدقاء قوية للدرجة التي جعلته يجمعهم مرة أخري في اليوم التالي يقول لهم أن هذه التصريحات كأن لم تكن ؟!! وان كنت أرها متفقة في السياق مع دراسة كيسنجر الجديدة .. وفي اليوم الثالث أعلنت هيلاري كلينتون بأنها تريد إجراء محادثات مع إيران وسوريا وحركة المقاومة الإسلامية " حماس " وحزب الله اللبناني وأكدت بأنه يمكن الحصول علي معلومات قيمة ونفوذ من خلال التعامل مع هذه الدول والمنظمات .. وأضافت بأنه " إننا في حاجة لاستخدام كل الوسائل المتاحة لنا بما فيها

الدبلوماسية والاقتصادية وبالإضافة إلي التهديد باستخدام القوة العسكرية " ومن خلال التصريحات لهيلاري ودراسة كيسنجر وما فعله وقاله شيراك يوجد هاجس يعني أنه ربما كانت هناك فكرة بأن تبقي إيران شوكه في الجانب الأيمن في الجسد العربي مع استمرار شوكة القلب في إسرائيل وبذلك يكون الجسد العربي في حاجة ماسة إلي المهدئ والمطمئن .. ولكن لكي يكون مؤثرا فيجب أن يكون غريبا أو أمريكيا وبالتالي يتناسب مع غلاء الأسعار في الأدوية ومتطلبات العصر وخاصة إذا وصل إلي حد الإدمان.. ويقول المثل الشعبي " إن كبر ابنك خاوية .." أي أجعل منه أخا لك ..؟ فهل كبرت إيران إلي هذا الحد في عيون أمريكا..؟

أم نطبق الحكمة الشعبية القائلة .. " اللي ما تقدرش عليه العب معاه .."؟

الأرض والسلام

وفي تعليق خاص لدي وهو أن هنري كيسنجر هو صاحب سياسة خطوة خطوة والتي طبقها بدبلوماسية المكوك والتي نفذها بنجاح ومازلنا نعاني من نتائجها حتى الآن .. بل والذي سوف نعاني منه لفترة طويلة قادمة .. وكانت سياسيته تلك تعني استبعاد الحل الشامل والوصول للحل المرجو علي خطوات يتم فيها استبدال قطعه صغيرة من الأرض بقطة كبيرة من السلام وبين كل خطوة وأخري فترات طويلة تسمي باختبارات النوايا .. ومن هنا نقول أن السياسة قتال.. والقتال سياسة .. وهذا هو مفهوم الصراع بين الدول في العصر الحاضر ولازلت عند التحليل والرأي الذي رأيته ما لم نكن قد وصلنا إلي عصر " مبادئ للبيع .. قيم للبيع .. بيكيا؟!! ..

الفصل السابع

أمريكا وإيران

الأزمة تغلي والطرق مظلمة والحلول مؤجلة

نص الاتفاقية الأمريكية الانجليزية للبترول

الأزمة بين إيران والولايات المتحدة متشعبة لكثرة المؤثرين والمتأثرين بها ولكن كل ما كتب عنها كان أشبه والي حد كبير بالأدوار والمتناقضات في نقاط متعددة لا تؤدي في النهاية إلي نظرة موحدة أو فهم واحد والمهم الفهم ثم لكل صاحب دور أو مصلحة الحق في الانحياز إلي دوره أو رأيه .. ولكن المهم كما أري أن نلم جميعاً بكافة نقاط المشكلة ورؤية الصورة واضحة تماما ولحسن الحظ فإن الوثائق كثيرة ومتوفرة ويمكن أن تؤدي في النهاية إلي صورة شاملة ومكتملة الظلال والألوان .

أولا : إن الطلاق واللعان الذي بدأ بين إيران وأمريكا ليس وليد اليوم .. أو المفاعل النووي الإيراني ولكن بدأ فور التخلي عن عرش الطاووس في إيران والتنكر لشاه إيران والمساهمة في سقوطه ولو عبره الترانزيت في باريس " ولست فاهماً حتى الآن الأسباب الرئيسية والحقيقية التي كانت وراء التخلي عن شاه إيران حتى ضاقت عليه الأرض بما رحبت فلم يجد مستشفي يعالجه في العالم غير مستشفي المعادي بمصر كنوع من الشفقة الإنسانية ولم يجد مكانا يواري جثمانه في مصر سوي مدفن من بقايا حكم سابق في مصر ؟ لم يفتح الملف حتى الآن ولم تظهر الوثائق بوضوح وأمانه ولكن ما يعنينا هنا هو التوقيت للطريق المظلم أو بمعني أخر زمن ومكان نقطة البداية .

ثانيا : بعد نجاح الثورة الإسلامية بقيادة خوميني والتي هلل لها الغرب رمزا للديمقراطية والحرية وتحركت شعلتها مضيئة باهرة من باريس إلي طهران في استقبال شعبي نادر لزعيمها الروحي أيه الله خوميني والصحف الغربية ترحب بتلك الإرادة الشعبية وتندد بحكم الشاه الديكتاتوري البهلوي ؟ ثم هدأت العاصفة وذهبت العواصف والأفراح وجاءت النوائب والأشباح ..

ثالثا : بدأ الطريق المظلم في العلاقة بمحاولة بدائية من ممثلين هواة لا يعرف كل منهم حجم دوره أو قدرته علي أدائه وذلك بوثيقة موجودة ومعروفة وسبق " ذكرها في كتاب شخصيات بين الأسطورة و الواقع للمؤلف "و التنويه بجزء أخر منها وسوف نعرض لجزء أخر بسيط

لكي يحدد النقطة التالية بعد نقطة البداية السابق ذكرها حيث دار الاجتماع بين شارون ونميري وخاشقجي في كينيا و تناولوا موضوعات كثيرة يخصنا هنا جزء إيران حيث عرض خاشقجي أن يمول صفقة تقدر بحوالي ٨٠٠ مليون دولار تكون ثمنا لأسلحة أصبحت في حوزة إسرائيل وليس لإسرائيل بها في حاجة فيمكن أن تخزنها في السودان ويتم تدريب مرتزقة عليها لقلب الثورة الإسلامية في إيران وانه علي استعداد لزيادة قيمة الصفقة إلي مليار دولار ..

وبعد عرض الخطة وعلم الولايات المتحدة بها تم إجهاضها وبسرعة للأسباب الآتية :

١- الإمكانيات الفنية والقدرات للموساد الإسرائيلي في اغتيال فرد أو مجموعة ، أي العمل المحدود وليس علي نطاق واسع .. لأنه يخضع لإمكانيات اكبر من إسرائيل .
٢- إن الثورة الإسلامية في إيران ذات شعبية قوية وجارفة لا يمكن معها التعامل الخشن الآن ومازالت عواطفها جياشة .. والطقس لا يمكن معه السماح لرياح التغيير أن تهب علي المنطقة ..

رابعا : مما سبق نجد أن الوجه العبوس قبل الصدام والمواجهة كان ظاهراً من فترة طويلة والنية مبيته وليس لتخصيب اليورانيوم أدني علاقة بالمواجهة.. ولذلك من الخطأ علي ساسة إيران التضحية أو المساومة بالورقة العراقية بعد الأرض التي اكتسبوها ويجب ألا ينسوا أن الحرب العراقية بدأت (أ) حظر الطيران ووافق العراق (ب) السماح للمفتشين الدوليين ووافق أيضا (ج) عدة قرارات دولية من الأمم المتحدة ووافق أيضا العراق (د) ثم من أجل أسلحة الدمار الشامل ولم يجدوا شيئاً (هـ) وأخيرا من اجل الديمقراطية ثم كانت النهاية وبدأ غزو العراق .. لا تنسوا فقط ..

من هنا بدأت الولايات المتحدة اللعب الكبير وعلي المستوي الذي يليق بالحادث أو بالمشكلة الإيرانية وبدأت في إعطاء المهمة لقوات (DELTA) ولكي نتعرف عليها فهي اختصار وهي تتولي القيام بعمليات مناهضة للإرهاب الموجه ضد المصالح الأمريكية وهذه القوة الخاصة جداً بدأت علي يد الكولونيل الأمريكي تشارلز باكوث الذي كان يخدم في القوات الجوية البريطانية ، الخاصة وتم تدريبها وتشكيلها علي نمط القوة الخاصة البريطانية وفي يوم ١٤ نوفمبر سنة ١٩٧٩ تم إبلاغ (دلتا) لعمل مضن وشاق نحو وضع خطة لإنقاذ الرهائن بالسفارة الأمريكية في طهران وعددهم ٥٣ شخصاً وثلاثة بمبني وزاره الخارجية وكان رئيس دلتا الكولونيل باكوث قد أصبح الجنرال باكوث وأطلق علي العملية اسم " مخلب النسر " وعملية المروحيات اسم " عمليه الضوء المسائي " وعمليات C.130 اسم " الخط الأزرق " وعمليات C.41 اسم " الخط الأحمر " ثم الاستيلاء علي مطار بنزريا العسكري الإيراني علي بعد ٣٥ كم جنوب طهران وفشلت العملية وسبب فشلها يتمثل طبقا للوثائق السرية ليوميات العملية

ومختصر بالطبع ولكن ما أخذ هو بالنص من أخطاء التنفيذ : (أ) بعد إقلاع المروحيات الثمانية من علي متن السفينة الحربية USS. NIMITZ التي كانت علي بعد ٥٠ ميلاً عن الشاطئ الإيراني وحدث عطل مفاجئ في المروحية السادسة " بريشة المروحة " استدعي هبوطا اضطراريا .

(ب) أدت عاصفة غبار حادة إلي خلل في نظام الملاحة في طائرة قائد السرب اجبر بسببها علي العودة والهبوط ترافقه المروحية الثانية .

(ج) تعرضت المروحية الثانية إلي انتكاسه أثناء الطيران .

(د) انفجرت المروحية الرابعة والطائرة C.130 أثناء التزود بالوقود في الجو ومات كل أفراد الطائرتين .

(هـ) مالت المروحية الثالثة أثناء الإقلاع وسقطت

ونريد أن نقول أن أمريكا بدأت التدخل العسكري المباشر ضد إيران والتي كانت من وقت قريب من أعز الأصدقاء وفشلت العملية وبطريقة غير متوقعه رغم الإعداد الجيد لها وتحولت إلي إيران جيت أو فضيحة إيران وأدت إلى نهاية الرئيس الأمريكي كارتر

والي هنا عزيزي القارئ نكون قد وصلنا إلي منتصف الطريق وانقسمت الصورة إلي جزءين أو شقين .. الشق الأول في الولايات المتحدة والشق الثاني في إيران ثم ظلال الصورة وملامحها في الاتفاقية الأمريكية الانجليزية للبترول ، وهي وثيقة رسمية موجودة في لندن وبذلك نكون قد وصلنا إلي اكتمال الصورة وظلالها ثم ألوانها علي نمط كليلة ودمنة ؟

أولا : الشق الأول في الولايات المتحدة وعلي المستوي الاستراتيجي :

١- مده الاحتياطيات البترولية بإيران طبقا لمعدلات الإنتاج ٥٥ سنه (مكتب الموازنة بالكونجرس)
٢- تهديد إيران بغلق مضيق هرمز يجعل هناك ضغطا علي السعودية يحد من مواجهتها لإيران بصورة سافرة أو ظاهره (تقرير الكونجرس)
٣- لم يعد النفط مجرد سلعه اقتصادية بل أصبح مصدرا للنفوذ السياسي (تقرير الكونجرس) .
٤- سوف يظل كثير من الدول الصناعية خلال العشرين سنة القادمة معتمدا بشكل كبير علي النفط المستورد من دول غير مأمونة وخاصة دول الخليج (تقرير الكونجرس)

٥- ارتفع استهلاك بريطانيا للنفط معتمدا علي الخليج الفارسي إلي ١.٩ مليون برميل يوميا والولايات المتحدة إلي ١٨.١ مليون برميل يوميا ثم في عام ١٩٩٧ أرتفع استهلاك بريطانيا إلي ٦٤ مليون برميل يوميا والولايات المتحدة إلي ٣٢ مليون برميل يوميا وهذه الأرقام قابلة للزيادة وتشمل الاستهلاك الفعلي والاستغلال للبيع (إدارة الطاقة بالكونجرس)
٦- لن تستطيع الولايات المتحدة إجراء اكتفاء ذاتي للطاقة في هذا القرن من الزمن (تقرير الكونجرس)
٧- يجب أن تقوم الولايات المتحدة بتطوير خططها بالتشاور مع حلفائها للاستعداد لأي طوارئ في الطاقة (توصيه لجنه الطاقة بالكونجرس)
٨- إذا أدت النزاعات العنيفة في منطقة الخليج إلي توقف تام عن إنتاج النفط لمده عام كامل فقد ينكمش الناتج القومي الإجمالي إلي ١٥% : ٢٠% في أمريكا ، ٢٠% : ٢٥% في أوروبا (تقرير الكونجرس)
٩- يجب علي الولايات المتحدة وحلفائها الاتفاق علي سياسات مشتركة لتجنب مزايدة الدول المستهلكة للنفط (تقرير الكونجرس)
١٠-للعب علي الخلافات العرقية والمذهبية داخل إيران فإنه يوجد ٥ ملايين أذربيجاني يقطنون الشمال الغربي في إيران ويتحدثون اللغة التركية ، ٤ ملايين كردي في الجنوب وقتل منهم ١٥٠٠ شخص خلال أسبوعين فقط بأمر من الخوميني عندما طالبوا بالاستقلال . وإذا اتجهنا جنوبا أكثر نجد أن هناك حوالي مليوني عربي يعيشون في خوزستان الغنية بالنفط معظمهم سنة والباقي خليط بين الشيعة والسنة وهم لا يدينون بالولاء الكامل للحكومة الإيرانية كما يوجد ٢.٥ مليون بهلوي مع الجانب الباكستاني في الشمال الشرقي وهذا يجعل نظام وتوحيد الأمة الإيرانية أمرا مشكوكا فيه وقابلاً للجدال (تقرير الكونجرس)
١١-أكدت وزيرة الخارجية السابقة كونداليزا رايس أنه حتى لو علقت إيران نشاطاتها لتخصيب اليورانيوم فإنه من غير المرجح أن توافق الولايات المتحدة علي محادثات ثنائية معها .. وأضافت رايس : " لقد كانت إيران ولا تزال بمثابة المصرف المركزي لتمويل الإرهاب " ؟ ثم قالت أيضا وفي حال تخلت إيران عن برنامجها النووي فإن مثل هذا القرار لن يمثل تطورا يقتضي منا شيئا بالمقابل .

ثانيا : الشق الأول علي الجانب الأمريكي ولكن من الناحية العسكرية :

١- مجلس الأمن القومي الأمريكي حصل قبل أربعة أشهر علي الضوء الأخضر لتنفيذ سلسلة عمليات سرية داخل إيران تستهدف برنامجها النووي وكبار المسئولين فيها .
٢- ثمة تقارير تشير إلي أن المخطط يشمل إدخال فيروسات في أنظمة الكمبيوتر لدي القيادة العسكرية وفي أجهزة المفاعل النووي الرئيسية و تم بالفعل و نجحت الحرب الالكترونية الأمريكية في تعطيل حاسوب أجهزة الطرد المركزي الايرانيه و لكن ما لبثت إيران أن أعلنت عن فك شفره الفيروس و إعادة التشغيل.

٣- ثمة خطة أمريكية معدة سلفاً بعدم السماح لإيران بامتلاك قنبلة نووية مهما كان الثمن وإن بلغ حد المجازفة بالحرب الشاملة وإن كانت محدودة والسيناريو المتوقع من الصين وروسيا هو أن طائرات إف ١٥ ، إف ١٦ الإسرائيلية ستتولى تنفيذ هجمات أولية ضد أكثر من ٦٠ هدفا نوويا وعسكريا إيرانيا تم اختيارها .
٤- توقفت أجهزة استخباراتية أوروبية عند تقارير تتحدث عن قيام قيادة المارينز بإعداد دراسات خاصة بالتوزيع العرقي والمذهبي في إيران واعتبرتها مقدمة لإعداد خطة عسكرية تهدف إثارة حرب أهلية لإسقاط نظام الملالي .
٥- كشفت صحيفة واشنطون بوست الأمريكية النقاب عن خطة لرفع إعداد القوات الأمريكية الخاصة لمستويات قياسية مشابهة لفترة حرب فيتنام وستوزع الزيادة في القوات الخاصة بين قوات GREEN BERETS وقوات دلتا وقوات الرنجرز وقوات السيلز البحرية ومجمل القوات الخاصة يصل إلي ٥٢٠٠٠ ألف مقاتل .
٦- أما القوات والأسلحة النظامية وغير التقليدية فهي معروفة وسبق الحديث عنها ولا يمكن بطبيعة الحال إدخالها في نطاق المقارنة .
٧- وفي نهاية الشق الأول الأمريكي يقول هنري كيسنجر إنه عند مقاومة الاحتلال يكون علي المدافع أن يختار بين الاستمرار في الدفاع عن النفس أو الاستسلام فإذا كان المعتدي قد حقق غرضه بالفعل فيمكن للمدافع تحقيق سلام عن طريق تسويه علي أساس الوضع الراهن الجديد .

(نظرية الحرب المحدودة)

ثالثا : الشق الثاني من الصورة علي الجانب الإيراني الاستراتيجي :

١- حلم إيران بتأسيس الإمبراطورية الفارسية وتري أنه اقترب تحقيقه بعد سيطرتها غرباً علي العراق وامتدادها شمالاً في أذربيجان وتوسعها شرقا في أفغانستان وباختصار وتعمل إيران علي تحقيق توسع إمبراطوري يستند إلي التوسع الإسلامي الشيعي في البداية ثم يحتوي الآخرين في إطاره ويعتمد علي السلاح النووي والنفط .
٢- يصعب علي أوروبا الغربية أن تستغني عن نفط وغاز إيران
٣- التلويح بغلق هرمز و سيكون مؤلما على تصدير الغاز و النفط السعودي "١١ مليون برميل يوميا
٤- التلويح بالورقة العراقية والورطة الأمريكية فيها وقواتها في مدي الأسلحة الصغيرة الإيرانية .

رابعاً : الشق الثاني من الصورة علي الجانب الإيراني العسكري :

١- تقارب الشيعة مع السنة في الداخل وتم تكليف محمد اسحق مدني مستشار خامئني لشئون السنة بهذا الملف وذلك علي الرغم من شوائب ومنغصات في هذا التقارب في إقليم بلوشستان واقوي جماعة سنة فيه هي جماعة جند الله البلوشسية الإيرانية التي

تنتمي إلي حركة الفرقان بقيادة عبد الملك ريقي وحركة الجبهة الديمقراطية الشعبية للشعب العربي هوزي المعارض والتي تتخذ من لندن مقراً لها لمحاولة الاستقلال وهي تنتمي لإقليم عربستان (إقليم خورستان)

٢- تؤكد مصادر إيرانية أن إجراءات مشددة اتخذت لتعزيز حماية أركان النظام تحسباً لتعرضهم لمحاولات اغتيال مع تركيز خاص علي حماية أية الله خامئني والرئيس أحمدي نجاد ولهذه الغاية تم تعيين رئيس جديد لقوات أنصار المهدي وأوكلت قيادة التنظيم التابع للحرس الثوري إلي العميد عبد العلي نجفي القائد السابق لقوات الباسيج في إقليم فارس الجنوبي .

٣- كانت روسيا قد قدمت عرضا لإيران في الرابع والعشرين من ديسمبر سنة ٢٠٠٥ وتزامن العرض الروسي مع إعلان مسئول كبير في وزارة الدفاع الروسية أن موسكو ستسلم أنظمة الدفاعات الجوية من طراز تور إم – ١ إلي إيران كاملة في يناير سنة ٢٠٠٦ علي الرغم من معارضة الولايات المتحدة ، كما يوجد تقرير استخباراتي أوروبي يؤكد تطوير إيران صواريخ شهاب -٢ وذلك يوم ١/٤/سنه ٢٠٠٦ .

٤- بالاضافه إلي القوات المسلحة النظامية لإيران والمتطورة فإنها قامت بتجهيز القوات الاتيه :

(أ) فيالق الحرس الثوري الإسلامي وهو جيش مواز للجيش النظامي وتضم ٢٠٠ ألف مقاتل ولها قوات جوية وبحرية وست فرق مدرعة .

(ب) جماعة ذو الفقار (السيف المسلول) من ٦٠ ألف جندي ومهمته حماية طهران ضد أي محاولة لقلب نظام الحكم .

(ت) قوة الباسيج المستضعفين (قوات التعبئة الشعبية) وهي تنظيم عسكري غير نظامي مؤلف من ٤٠ ألف جندي .

(ث) ألوية كربلاء وهي قوات غير نظاميه مؤلفه من ١٠٠ ألف جندي مهمتها التدخل في مناطق الريف والبلدان النائية ومخصصة لحرب الشوارع والمدن .

(ج) حركة الانتقام الإلهي (جيش ثأر الله) وتتألف من ١٠٠ ألف جندي لديها أسلحة خفيفة وتنتقل بالدراجات النارية وسيارات جيب .

(ح) خاران زينب (أخوات زينب) عبارة عن جيش نسائي يضم ٥٠ ألف امرأة أكثرهن من طهران .

وإلي هنا تكون الصورة قد وضحت في شقيها الإيراني والأمريكي ولم يعد غير ظلالها وهو العمل علي تفعيل الاتفاقية البترولية بين أمريكا وبريطانيا والتي كانت في طي الكتمان ثم ظهرت وثائقها بعد ذلك وتنص علي الأتي :

المادة الأولي :

١- ضمان وجود مستودعات كافية للبترول ومشتقاته في ميدان التجارة الدولية لسد احتياجات الأسواق المتزايدة .

٢- العمل من أجل أن تكون موارد البترول في العالم كافية .
٣- إنماء تجارة البترول عن طريق عقد اتفاقية بترول دولية بين جميع البلدان ذات المصالح المشتركة .
٤- أن الحكومتين متفقتان علي أن تجارة البترول يجب أن تدار وفق خطة منظمة مع الوضع في الاعتبار الآمن العسكري بحيث يجب أن يحافظ علي مصالح البلدان المنتجة له .

المادة الثانية : توجه الحكومتان المتعاقدتان جهودهما نحو احترام كافة عقود الامتيازات النافذة والحقوق المكتسبة واحترام مبدأ الفرص المتساوية فيما يتعلق بالحصول علي حقوق التنقيب والاستثمار ويجب ألا تعرقل جهود التنقيب بقيود لا تتمشي مع هذه الاتفاقية .

المادة الثالثة : التفاوض لإنشاء مجلس للبترول الدولي الدائم كما تتعهدان بالتشاور مع الحكومات الاخري ذات الصلة .

المادة الرابعة : للجنة أن تؤسس المنظمات التي تراها ضرورية للقيام بوظائفها المنصوص عليها في هذه الاتفاقية .

المادة الخامسة أن تسعيا للحصول علي معاونة حكومات البلدان المنتجة والمستهلكة الاخري لتحقيق مبادئ الاتفاقية .

المادة السادسة : أن تنشر اللجنة ما تراه ما لم تقرر احدي الحكومتين خلاف ذلك في قضية معينة .

المادة السابعة : ليس في هذه الاتفاقية ما يعطل أو يعدل أي قانون أو تشريع في بلاد كل من الحكومتين .

الخاتمة : أن المقصود بالبلدين حكومة المملكة المتحدة العظمي وأيرلندا الشمالية والمستعمرات البريطانية والأقاليم فيما وراء البحار التي تحت إدارة تلك الحكومة

وحكومة الولايات المتحدة في القارة وجميع الأقاليم الواقعة تحت اختصاص للولايات المتحدة ونفوذها طرفا ثانيا .

وأخيراً عزيزي القارئ وفي أدب الأطفال وعلي غرار كليلة ودمنة " أن أسداً جائعاً نظر حوله في الغابة فلم يجد سوي فأر صغير ولم يجد الأسد أي حجة أو سبب ليأكل الفأر فأمره أن يعبر به النهر في قارب ووافق الفأر أملاً في النجاة وظل الفأر يكافح بقوة ليعبر به النهر وفي منتصف النهر أحس الأسد أن الفأر قد ينجح في نقله عبر النهر فقال له ما كل هذا الغبار الذي

تحدثه وأصاب عيني ؟ فنظر الفأر إلي الأسد مستغرباً والعرق يتصبب منه وأين الغبار في عرض النهر ؟ فقال له الأسد هي مشاغبتك دي اللي هاتخليني أكلك وأكله " وانتهت القصة والسلام .

الفصل الثامن

هكذا شاركت إيران في انتخاب أوباما !

كان هناك ما يقرب من أربعة عشر مرشحا للرئاسة الأمريكية ، وكتبت محللا وبذات العنوان " بين جون ماكين وأوباما بن عم حسين " ولم يكن ذلك من باب التخمين أو المضاربة ولكنه كان لرؤية واضحة لمعالم السياسة الدولية . وتحققت النبوءة وقت أن كانت هيلاري كلينتون الأقرب إلي البيت الأبيض . وعارض رؤيتي الكثيرون ولكنني كنت مقتنعا للحد الذي لا أري فيه ما يغير من وجهة نظري ، وفي نهاية التحليل كنت أميل إلي أن " جون ماكين " هو الأقرب إلي البيت الأبيض ، ولكنني استدركت قائلاً : " ما لم تحدث أشياء أخري " وظهرت النتائج النهائية وفاز بها " باراك أوباما " كما كنت أتمني في عمق النفس ولكن علي غير ما رجحت فى الأولوية ووقفت كثيرا أمام ما كتبت فربما كان هناك خطأ في المدخلات أدت إلي تغير في الترجيح أدي إلي فشل " جون ماكين " وبالمزيد من التمعن والتفكير لكافة الملابسات والأحداث أتضح وجوب فوز " باراك أوباما " ليس لخطأ في التحليل ولكن لسرعة التغير في الأجداث ، وهي علي ما يبدو حتى غير واضحة المعالم أمام الكثيرين ممن كتبوا حول النتائج واستمعت لهم جيدا فقد رأيتها بمنظور آخر .

أولا : أحداث حرب الخليج والإنفاق العالي جدا لها وما تبعه من نتائج لم تكن علي خرائط العسكريين والمخططين الاستراتيجيين الأمريكيين بل والأوروبيين أيضا ، مما أدي إلي أن ترفع الولايات المتحدة (في بداية عهد بوش عام ٢٠٠٠) من أسعار النفط مما يقرب من ٢٣ دولارا للبرميل إلي ما يقرب من ١٢٨ دولارا ولا تستطيع أو يمكن لدولة منتجة أو مصدرة أن تفعل ذلك ، وكلنا يعلم ما حدث عند رفع سعر البرميل إلي أربعين دولارا للبرميل وقت أحداث حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ ، وما يمكن أن يؤثر في الاقتصاد العالمي أدي إلي اعتبار عودة الضخ قبل الاتفاق علي السلام ، ثم أتبعت ذلك بخفض قيمه الدولار إلي النصف لعدم زيادة العائد المادي الذي حصلت عليه الدول العربية المنتجة وحتى عاد التوازن المالي للتعاملات الدولارية علي مستوي العالم بأكمله؟؟ ومن المعروف أن أمريكا هي المهيمن الأكبر والمستفيد الأعظم من تلك التجارة ، لأنها تنتج وتأخذ ولا تستهلك فقط ، ولكن تبيع أيضا وما يأخذ المنتجون هو ما يشبه حق الانتفاع فقط ، ومع كل ذلك فهو لايزال قابعا في خزائن البنوك الأمريكية ويستهلك الباقي في أمور عسكرية ولوجستية وأكثرت أمريكا في التعامل الدولاري النقدي علي تلك الأمور ودون الاستخدام في التعامل التجاري و بنقد مكشوف أدي إلي صراخ وليس تحذير من رئيس البنك المركزي الأمريكي من الكساد المتوقع . وزاد تحذيره وصراخه

من أن تحول بعض الدول القابع في أرضها النفط لتعاملاتها علي النفط بعملات أخري ربما يكون اليورو الأوروبي " وسبق تحليل ذلك أكثر تفصيلا " وتدخلت الأوامر السياسية للإمبراطورية الأمريكية لتحول دون وقوع تلك الكارثة ولكن بقيت تداعياتها حتى الآن .

ثانيا : مما سبق نتجت الكارثة الاقتصادية الحالية والتي كانت ماثلة أمام من يري أو يدرك ، ولكن لم تستطع أمريكا الرجوع أمام تداعيات الأحداث في العراق وأفغانستان ، وبالتالي التراجع عن التصعيد في القوقاز ، وبالتالي لم تستطع أمريكا ترجيح كفة الداعين إلي ضرب إيران وفتح حرب جديدة لم يعد يتحملها الاقتصاد الأمريكي بل والعالمي أيضا ، وكان مرشحا لقيادتها " جون ماكين " بكل خبراته وجرأته السياسية والعسكرية ولم يعد هناك إمكانية إيجاد مشروعية في الأمم المتحدة بعد أحداث القوقاز وزيادة التقارب الإيراني الروسي والصيني أيضا . مما يصعب من الحصول علي قرارات دولية تمكن التحالف الغربي من شن تلك الحرب وعلي ما يبدو عدلت أمريكا من سياستها التي تتجه نحو الهاوية والحرب إلي التعامل السياسي والضغوط السياسية والاقتصادية. وبالتالي أصبحت في حاجة إلي شخص أخر يتعامل (وفق المؤسسات) الإستراتيجية لكي يتأهل لاتخاذ مثل تلك القرارات الصعبة.

ثالثا : مما سبق أيضا تلاحظ خفوت أو نضوب حدة التوتر والتصعيد من أمريكا والدول الست الكبرى بالنسبة لأزمة البرنامج النووي الإيراني ، وخروج تقرير المخابرات المركزية الأمريكية لكي يقلل من أهمية وحتمية ضرب إيران لبعد الفترة الزمنية التي تؤهلها إلي إنتاج فعلي لسلاح نووي وبالتالي توجد مسافة ووقت للضغوط الاقتصادية والسياسية أيضا وتبع ذلك هدوء ملحوظ علي الجبهة العراقية ،وتكاد تنتهي أخبار وأحداث العنف والمقاومة العراقية ، وبسرعة غير متوقعه مما يدل علي أنه ربما كان هناك اتفاق تحتي أو خلف الأبواب المغلقة بين إيران وأمريكا علي ذلك ، ثم تبع ذلك عدم الرغبة في تهيئة الشرق الأوسط لمسرح العمليات الذي كان متوقعا عند ضرب إيران ، وانتهت فصول " انابوليس " بكل مالها وما عليها وانتهت التعهدات الأمريكية بحل المشكلة قبل خروج جورج بوش من البيت الأبيض . وعادت الأمور إلي نقطة الصفر مرة أخري وانتهت كما بدأت وما بدأ يظهر في الأفق هو تبعات التهدئة لا تتحرك عن اتفاقات ورقية ومؤتمرات سياسية احترفها كل العاملين فيها من خبرات سابقة قاربت علي الستين عاما الماضية وتبع ذلك عودة التوغل الإسرائيلي في قطاع غزة مع بشائر الشتاء الحالي ، ثم تلي ذلك التباعد وربما التنكر لبعض ما اتفق عليه بين سوريا وإسرائيل ولم يعد الثمن حاليا علي الأقل في مصلحة أيه تنازلات إسرائيلية في هضبة الجولان السورية ،واتفق الطرفان السني والشيعي علي التهدئة ، فلم يعد هناك ما يمكن أن تأخذه الطائفة السنية ، فلم يعد الوقت ملائما لإعادة فتح ملف " رفيق الحريري " مره أخري ، ولم يعد أمام حزب الله

ما يمكن أن يأخذه في الوقت الحالي وخاصة بعد تبادل الأسري الأخير . وتلقي ما يكفي من إشارات بذلك من القيادة الأم في إيران وتراجع الجانب السوري عن التشدد المعهود وحضر إلي مؤتمر الاوورومتوسطى الذي حضرته إسرائيل أيضا ودون مقابل أيضا .

رابعاً : يضاف إلي ما سبق فشل جميع مساحيق وعمليات التجميل لوجه أمريكا في العالم ، أرض الأحلام وراعية حقوق الإنسان ، فأين حقوق الإنسان وأحداث معتقل أبو غريب ، وليس بجديد كل ما حدث فيه من أحداث يندي لها جبين الإنسانية ، وليس فقط أمريكا ، ثم أحداث أفغانستان ، وما يجري حتى الآن علي أرضها ثم معتقل " جوانتانامو " والذي لازال يحدث رغم محاولة أمريكا غلق الملف (ولم يحدث حتى الآن) ، ثم أحداث الصومال وليست ببعيدة و ضرب قرية " بوكمال " في سوريا ثم محاكمات جنائية للمقاومة العراقية ، ومن محكمة عراقية بتهمة قتل جنود أمريكان (إسقاط شرعية المقاومة ضد الاحتلال) ، كل ذلك أدي ألي فشل جميع المؤسسات الموكل إليها تجميل وجه أمريكا أمام العالم بأسره ، وليس في الشرق الأوسط وحده ، بل وفي داخل أمريكا نفسها بالتالي كانت أمريكا في اشد الحاجة بل وحتمية تغيير وجه أمريكا أمام العالم بعد فشل عمليات التجميل وهو اختيار موفق لشخصية سوداء ومن أصول أفريقية وجذور إسلامية ، هللت له كل عواصم العالم بعد ظهور نتائج الانتخابات ، فكان من مجمل التحليلات أن انتخاب الأمريكيين " لباراك أوباما " رئيسا موافقا لرغبة غالبية شعوب العالم في التغيير ، لاسيما بعد معاناة العالم كله طوال ثماني سنوات من حروب متعددة ومن أزمة اقتصادية قد تدفع بالاقتصاد العالمي إلي حافة الهاوية غير المسبوقة منذ عقود وأن العالم ربح كثيرا اقتصاديا وسياسيا بانتخاب " اوباما " كيف ذلك ؟ لا أدري وهو لم يدخل البيت الأبيض بعد ، ونسي الجميع أن أمريكا إمبراطورية وحيدة في العالم تحكمها مؤسسات ضخمة ومتشعبة تعني بكل صغيرة قبل الكبيرة في كافة أنحاء المعمورة وأنها تعمل وفق نظام مؤسسي كامل ومترابط لا يتقيد برئيس ورأيه الأوحد فقط .

وهناك شعار وحيد يحكم الجميع في أمريكا وربما العالم بالتالي التابع والضعيف منه بأن " أمريكا فوق الجميع " ولم يعجبني ، بصفة شخصية، في تحليل النتائج النهائية سوي كلمة الرئيس الكوبي السابق " فيدل كاسترو " ، عندما علق قائلا : " إن باراك اوباما أذكي وأكثر ثقافة وهدوءا من منافسة العجوز المولع بالقتال " وكان " الكيجولا ثالث إمبراطور في روما طاغية فظاً ، ومع ذلك يحكي أن فكرة راودته تدل علي قلة احترامه لما تمثله شخصية عامه فقام بتعيين حصانة المفضل " إنستاتوس " أولا في مجلس الشيوخ ومن ثم حاكما ، وربما كان " كاليجولا " يعني بهذا أن آلية الإمبراطورية الرومانية كانت تعمل من تلقاء نفسها ، فما أن انطلقت تستطيع الاستغناء حتى عن قياصرتها .. وما أعنيه ليست المشكلة في غباء " بوش "

الكارثي أو في حماسة الرئيس المقبل بل في المشيئة الخاصة لإمبراطورية ولدت من الحرب ضد اسبانيا (١٨٩٨) ثم نظمت " السلام الأمريكي " بعد الحرب العالمية الثانية .

الموقف الشرق أوسطي :

بعد إعلان نتائج الانتخابات الأمريكية حذرت إسرائيل من إعلان الرئيس الأمريكي المنتخب " باراك اوباما " استعداده للحديث مع إيران ، وزعمت أن ذلك قد ينظر إليه في الشرط الأوسط علي أنه مؤشر ضعيف في الجهود الرامية إلي إقناع طهران بالتخلي عن برنامجه النووي ، وردا علي سؤال حول تأييدها لأي حوار مع إيران قالت " ليفني " وزيرة الخارجية الإسرائيلية السابقة (حتى الآن لا)؟؟؟ ، وأعلن السفير الأمريكي لدي إسرائيل " جيمس كانينجهام " أن رئيس الولايات المتحدة باراك أوباما سيكون رئيسا عظيما وصديقا كبيرا " لتل أبيب " ولكن التحليلات التي خرجت من إسرائيل أضافت أنه من المحتمل أن يكون فوز " اوباما " له تأثير مثير علي استمرار السفير الأمريكي الذي لم يمض علي وجوده في إسرائيل أكثر من ثلاثة شهور فقط .

أما علي المستوي الإعلامي العربي فقد كان التهليل والابتهاج والأفراح العاطفية التي لازالت تحكم الشرق الأوسط هي الغالبة ، وبصورة قد تكون أكثر وضوحا مما يحدث في أمريكا نفسها ، ولنا سوابق كثيرة من التاريخ في ذلك ، عندما كان يهلل العرب كلما كان الغلبة في الصراع بين الإمبراطورية " الرومانية " والإمبراطورية " الفارسية " ونسي الجميع أن كلتا الإمبراطورتين في شكل استعماري ذاق الأمرين من كلتيهما ويمكن اختصار كل تلك المشاعر في مانشيت كبير لإحدى الصحف العربية الهامة " أوباما يصنع التاريخ بفوز ساحق " ولست أدري كيف صنع هذا العملاق الفذ مع كل الاحترام لشخصه الكريم وكل التفاؤل أيضا كيف يصنع التاريخ وهو لم يكن دخل البيت الأبيض بعد ومن بعد (وسبحان الله) وأخيراً يقول " أوباما " (كلاهما تعرض للاضطهاد) مساويا بين اليهود والسود ونقول " معلش " تصريحات انتخابية ثم يقول في مؤتمر " إيباك " " ستبقي عاصمة إسرائيل (القدس) وموحدة أيضا ونقول أيضا معلهش تصريحات انتخابية ثم نستبق الأحداث من باب الاحتياط إذا ما حدث قرار فعلي " يجب إعطاء الرجل فرصة لدراسة الموقف في الشرق الأوسط ، فهي قضية معقدة وتحتاج إلي دراسة وتأن فقد مضي عليها ما يزيد علي ستين عاما ثم في العام القادم " مازالت الأمور الخارجية والشرق أوسطية خارج الأولويات الحالية في أمريكا ، وهناك أمور أخري مثل الموقف الاقتصادي والكساد ، وفي العام بعد القادم معلهش أيضا ، فأمريكا بدأت تجهز لانتخابات جديدة لا تستطيع مها اتخاذ قرار حاسم في الشرق الأوسط ، وبدلا من كل هذا فإنني أري وجوب وحتمية تحويل القمة العربية الاقتصادية المقبلة إلي قرارات سياسية إضافية

وإستراتيجية تتناسب مع المتغيرات الدولية المقبلة ، نعرف فيها القدم من الرأس بدلا من التشجيع والتبرير . فنحن في أشد الحاجة إلي تحديد موقع استراتيجي حقيقي في الشرق الأوسط يحدد المكانة والمكان في تلك البقعة الهامة والخالدة علي أرض المعمورة ، وأن كان هناك حلول أفضل فنحن في أشد الحاجة إليها الآن و هل الربيع العربي لم يعد كافيا للفهم و التحرير أم ننتظر الزلزال و العواصف.. ربما

الفصل التاسع

خلف الأبواب المغلقة

في العمق الخشن

كانت الولايات المتحدة تلعب منذ فتره لعبه القطة والفأرة مع الإيرانيين بشأن رغبتهم المعلنة في امتلاك التكنولوجيا النووية التي يراد استخدامها في الظاهر في برنامج نووي لإنتاج الطاقة في حين رأت أمريكا وإسرائيل أن ذلك ليس سوي جزء من نية أكبر لامتلاك أسلحة نوويه .. وفي أعقاب انهيار الاتحاد السوفيتي تقربت إيران من الحكومة الروسية الجديدة المتعطشة للمال علي عهد بوريس يلتسن وأبرمت صفقة في مطلع عام ١٩٩٥ بلغت قيمتها ٨٠٠ مليون دولار يقوم الروس بموجبها ببناء مفاعل وحيد بقدره ١٠٠٠ ميجا وات في بوشهر ووافقت أداره كلينتون علي الصفقة وعلي الفور انتقدت الحكومة الإسرائيلية تلك الصفقة وكانت جهات إيرانيه قد أجرت زيارات لكازاخستان في العامين سنة ١٩٩٢- ١٩٩٣ بهدف شراء يورانيوم متدني التخصيب لإمداد مفاعلها بالطاقة (وهذا ما دفع أمريكا إلي تنفيذ برنامج بلغت كلفته عده ملايين من الدولارات للتخلص من كافه المحزونات التي في حوزة كازاخستان من اليورانيوم عالي التخصيب وبدأ السعي الإيراني إلي التقرب من شركات فرنسية وصينية من أجل امتلاك مصانع مكتملة البناء تفيد في إنتاج سادس فلوريد اليورانيوم وهو الوقود المستخدم في تخصيب اليورانيوم باستخدام طريقة الطرد المركزي .. وهنا أيضا ضغطت أمريكا علي كل من فرنسا والصين لوقف هذا التعاون وبدأ التنسيق الإسرائيلي مع لجنة " إيباك " الممثلة للوبي الإسرائيلي في الكونجرس والمؤيد القوي لإسرائيل وسرعان ما ضغط الكونجرس علي الحكومة الأمريكية لفرض عقوبات صارمة علي إيران لا تشمل الاستثمارات والمبادلات التجارية الأمريكية مع إيران وحسب ولكن تشمل كل شركة أجنبيه تقوم بمثل هذه المبادلات .. وفي حجة إسرائيلية بأنه لا يوجد لدي إيران أيه حاجة منطقية لبرنامج الطاقة النووية وبالتالي فإن أي جهد في ميدان النشاط النووي لا يخدم سوي كونه غطاء لبرنامج سري لإنتاج الأسلحة النووية خاصة عندما ارتبط ذلك مع مساعي إيران للحصول علي التكنولوجيا النووية من روسيا والتطورات الجارية علي صعيد نقل تكنولوجيا الصواريخ بطريقة سريه من روسيا إلي إيران وولد ذلك ما يشبه الهستريا في دوائر الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية خاصة عندما

أكتشف أقمار التجسس الأمريكية تجربه لمحرك إيراني يعمل بالوقود السائل يراد استخدامه في الظاهر في الصاروخ شهاب ٣ وكان الإسرائيليون مقتنعين بأن هذه التجربة لم تكن لتتم لولا معونة ومساعده الخبراء الروس في إيران .. (والحقيقة أن المحرك الذي جري اختباره حصلت عليه إيران من كوريا الشمالية ولم تكن أيه علاقة من قريب أو بعيد بالتعاون الروسي الإيراني في مجال الصواريخ) .. وبالتأثير المشترك للجنة التسريبات الخاصة بالتعاون الاستخباراتي والتي يتولي ملفها من الجانب الإسرائيلي رجل الموساد النشط في هذا المجال (عاموس جلعاد) ثم فرض عقوبات علي الشركات الروسية التي تعرف بأنها تتعامل مع إيران ..

محاولات إسقاط النظام الإيراني "

بدأ الإسرائيليون يفكرون بجديه في الظروف التي ربما تؤدي إلي إسقاط النظام والحكومة الايرانيه وأدرك عاموس جعلاد ورفاقه ضباط الموساد بأن تلك المهمة أكبر من أن تتمكن إسرائيل بمفردها من ا نجازها .. وفي الواقع هناك دوله وحيده في العالم يمكنها إنجاز تلك المهمة ألا وهي الولايات المتحدة الامريكيه .. وبوصف جلعاد العقل المدبر بدأت الاستخبارات الإسرائيلية بضخ المعلومات إلي المجلس الوطني للمقاومة في إيران والذي يعمل في واشنطن (بعد نقل نشاطه من العراق) واستخدمت في الغالب مابات يعرف باللوبي الإسرائيلي كوسيط والمجلس الوطني للمقاومة في إيران بمثابة الواجهة السياسية لمجاهدي خلق أو " ميك "وبذلت إسرائيل جهودا جبارة لفصل صفه الإرهاب عن المجلس الوطني للمقاومة في إيران عن جماعة مجاهدي خلق وبذلك بدأ أعضاء الكونجرس بالتعبير عن دعمهم العلني للمجلس الوطني للمقاومة في إيران لإسقاط نظام الملالي في طهران وكان في الواقع الهدف من تلك العملية ذا شقين : الأول غرس فكرة تغيير النظام في نفسيه الجسم السياسي الأمريكي كسياسة والثاني العثور علي منفذ قابل للنفي لنشر المعلومات الاستخباراتيه الأمريكية في أوساط الرأي العام الأمريكي .

النقطة الحرجة :

وهي أول نقطه حرجة والمفجر الأساسي للأزمة النووية الإيرانية في أمريكا وأوروبا والعالم (خاصة الشرق الأوسط) ففي يناير سنه ١٩٩٩ بدأ المجلس الوطني للمقاومة في إيران بعقد مؤتمر صحفي كشف فيه عن التقدم الذي أحرزته إيران في ميدان الأسلحة الكيميائية والجرثومية .

بداية التفاعل:

ادعت إسرائيل بأنه بفضل التعاون الاستخباراتي مع تركيا في مجال أكراد الشرق الأوسط عادت إلي البروز المشكلة الكردية الإيرانية مستغله في ذلك ما فعلته الحكومة الايرانيه عندما اعتقلت خمسه وعشرين عضواً من الحزب الديمقراطي الكردي العراقي الذي يتزعمه مسعود البرزاني نجل مصطفي البرزاني واتهمتهم بالتجسس لصالح الإسرائيليين والأتراك وبمساعده من الحكومة التركية تمكنت إسرائيل من تأسيس وجود استخباراتي لها في أذربيجان حيث بدأت الحكومة الإسرائيلية بحلول عام ١٩٩٦ ببث نشرات دعائية في شمال إيران الذي يسكنه الاذريون دعماً لحركة وطنيه أذريه معاديه للنظام إضافة إلي تنفيذ عمليات مكثفة لجمع المعلومات تضمنت التصنت علي الاتصالات وعبور الحدود من قبل أذريين موالين لإسرائيل .. وباستخدام وتوظيف خدمات المجلس الوطني للمقاومة في إيران قامت إسرائيل في الثاني من أغسطس عام ٢٠٠٢ بالكشف عن وجود نشاطات نوويه إيرانيه سريه لزيادة التركيز الدولي علي إيران بعبارات بأبعاد نوويه صرفه مع ربط ذلك بالتعاون الإيراني مع حزب الله في لبنان والعناصر الرديكاليه داخل حماس ومنظمة التحرير الفلسطينية ومستغل في ذلك أيضا الخطاب العنيف الإيراني والمعادي لإسرائيل ودعم إيران المستمر للإرهاب الدولي في مرتبه ثانيه بعد الملف النووي .. ثم قامت لجنه مراقبه نوويه امريكيه خاصة ؟!! تدعي معهد العلوم والأمن الدولي برياسة دافيد أولبرايت وهو عالم فيزيائي عمل لفترة وجيزة كمفتش في الوكالة الدولية للطاقة الذرية (خدم في بعثه التفتيش في العراق) بعرض صور التقطتها القمار الصناعية وقام بشراء تلك الصور مع زميل له وهي خاصة لمنشأتي ناتانز وأراك في إيران بهدف دعم المزاعم التي أعلنها المجلس الوطني للمقاومة في العراق وسارعت الحكومة الأمريكية بالتجاوب علناً مع التقرير الذي نشرته " سي . إن . إن " السالف ذكره بمعرفه معهد العلوم والأمن الدولي حيث صرح ريتشارد باوتشر الناطق باسم وزاره الخارجية أن الولايات المتحدة توصلت إلي استنتاج مفاده أن إيران تعمل علي تطوير قدرات تمكنها من صنع أسلحة نوويه وناقش باوتشر مسألة منشأه للمياه الثقيلة في أراك واحتمال وجود منشأه في ناتانز لتخصيب اليورانيوم .. وسارعت إيران إلي التعبير عن انزعاجها من التعليقات التي صدرت عن وزاره الخارجية الأمريكية ورد نائب الرئيس الإيراني السيد أغازاده بالقول أن الاتهامات الأمريكية تخص الوكالة الدولية للطاقة الذرية وليس الولايات المتحدة وأكد الرئيس الإيراني محمد خاتمي بأن البرنامج الإيراني ما هو إلا برنامج سلمي وإيران لا تسعي إلي امتلاك أسلحة نووية ؟! ... وأضاف بأن إيران اكتشفت وجود احتياط من اليورانيوم وقامت باستخراجه ونحن عازمون علي استخدام التكنولوجيا النووية في الأغراض السلمية ومن حق إيران القيام بذلك .

وفي عام ٢٠٠٣ طلب السفير الأمريكي من الوكالة الدولية للطاقة الذرية تقدم تقرير يحدد بالضبط ما عثرت عليه الوكالة في إيران تمهيداً للقيام بعمل ضد إيران في تتطلع إلي أحاله القضية الايرانيه إلي مجلس الأمن مما يفتح الباب أمام فرض عقوبات اقتصاديه علي إيران أو حتى التصريح باستخدام القوة العسكرية في حال لم تتجاوب إيران مع الإجماع المتنامي علي ضرورة تعليق برنامجها النووي ككل والكف عن تطويره وخصوصاً في النواحي المتعلقة بامتلاك دوره للوقود النووي الكاملة .. وتلك كانت النقطة التالية للنقطة الحرجة والانتقال لنقطة البداية ؟! ... حيث أوضحت وثيقة إستراتيجية الأمن القومي الأمريكي في نقاط عديدة نوايا أمريكا في أنها تبني قدرات استخباراتيه أفضل وأكثر تكاملاً لتوفير معلومات دقيقه وفي الوقت المناسب عن الأخطار في أي مكان ربما تنشأ فيه ومن المحتم التنسيق عن قرب مع الحلفاء لصياغة تقييم مشترك لأعظم الأخطار وتحويل القوات المسلحة لإمكانية ضمان القدرة علي تنفيذ عمليات سريعة ودقيقه لتحقيق النتائج المرجوة بغرض التخلص من أي تهديد لأمريكا أو حلفاءها وأصدقاءها أيضا وستكون الأسباب التي تقف وراء أعمالنا واضحة والقوة محسوبة والقضية عادلة ؟!! و بالاضافه إلي إستراتجية الأمن القومي الأمريكي لعام ٢٠٠٦ فقد أوضحت بأن الولايات المتحدة ملتزمة بسياسة تغيير النظام في إيران وإنها تستخدم البرنامج النووي الإيراني كستار لتسهيل عمليه التغيير وكما أوضحت مذكرة دوانج استريت لن تتردد الاداره الامريكيه في تلفيق الحقائق بما يخدم هذه السياسة وهذه هي الحقيقة المزعجة التي تميز أي تطور في الدبلوماسية المتأرجحة التي ميزت التطورات المتعلقة بالبرنامج النووي الإيراني ليكون الهدف السياسي المقبول والوحيد هو تغيير النظام ؟! وهو ما يظهر أيضاً في محرك التصعيد " بولتون " وهو الموظف المسئول في وزارة الخارجية الأمريكية في شئون المنظمات الدولية والذي ساعد علي إلغاء قرار مثير للجدل أصدرته الجمعية العامة للأمم المتحدة في السبعينيات يساوي بين الصهيونية والعنصرية؟!! وأشهر ما قيل عنه " بأنه لا يوجد شيء يشبه الأمم المتحدة ؟! وانه لو فقد مبني أمانه سر الأمم المتحدة في نيويورك عشره طوابق ما كان

ذلك سيحدث فارقاً؟! " ويعتبر تغيير النظام في إيران موضوعاً يعرفه كل شخص في واشنطن العاصمة ولكن أحداً لا يريد مناقشته في العلن علي الأقل ومن الأمور المعيارية المترتبة علي هذه المقاربة تصريح جون بولتون أيضا في مايو سنه ٢٠٠٦ حيث علق علي احتمال أن تؤدي حزمه الحوافز إلي حمل إيران علي وقف برنامج تخصيب اليورانيوم والتخلي عنه " بأن هذه اشاره إلي حكام طهران بأنهم في حال أوقفوا دعمهم الطويل للإرهاب وتخلوا عن سعيهم إلي امتلاك أسلحة دمار شامل يمكن أن يبقي نظامهم ويمكن أن يقيموا علاقة مختلفة مع الولايات المتحدة وباقي أنحاء العالم " ولكن تبقي الحقيقة الكامنة في الكلام الذي لم يقله في أنه في حال أحجمت إيران عن لعب الكره فلن يسمح للنظام الإيراني حسبما يفكر صانعوا السياسة في واشنطن بالبقاء ويبقي علي الجانب الآخر ما قالته وزيره الخارجية الأمريكية السابقة كوندوليزا رايس (وهي قبل ذلك كانت مستشارة للأمن القومي) " إن إيران ليست العراق وفي حين إن إيران لاتزال خاضعة لحظر اقتصادي أحادي من جانب الولايات المتحدة فهي لاتزال قادرة علي إجراء مبادلات تجاريه مع باقي دول العالم وبناء علي ذلك تظل إيران أشبه بدول حديثه يمكنها الوصول إلي مجموعة كاملة من التكنولوجيات المتوفرة لباقي الدول في العالم بما في ذلك التكنولوجيا العسكرية وأن مساحة إيران أكبر بكثير من مساحة العراق كما أن عدد سكانها وجيشها اكبر بكثير والشعب الإيراني شعب يفتخر بنفسه وثقافته وتاريخه واستقلاله وأيه فكره تقول أن الشعب الإيراني سيقف موقف المتفرج فيما تقصف الولايات المتحدة بلده أو تحتل أرضه خاطئة علي نحو مأساوي . وليكن معلوماً ستقاوم إيران أي هجوم يستهدف أراضيها بكافة الوسائل المتوفرة لديها .. وسينتج عن أي قصف جوي لإيران هجوم صاروخي إيراني مباشر علي أهداف في إسرائيل يليه قصف صاروخي من قبل حزب الله لشمال إسرائيل وفي حال تم نشر قوات أمريكية في أي بلد يقع ضمن مدي الصواريخ الإيرانية ففي الإمكان توقع تعرض ذلك البلد لهجوم إيراني وستطلق إيران سيلاً من صواريخها علي القوات الأمريكية الموجودة في العراق ثم تشتبك مع قوات الاحتلال التابعة لأي تحالف علي الأرض إما بقوات

إيرانيه شبه عسكريه أو باستخدام وكلاء عراقيين علي شكل مجموعات من الميليشيات الشيعية الموالية لإيران وستزول حرية الحركة الأمريكية بين عشيه وضحاها .. وستقطع خطوط الاتصال بين القواعد اللوجستيه الأمريكية في الكويت والأردن ولن يعود في الإمكان حماية خط الاتصالات الوحيد المتبقي الذي يمر عبر كردستان نحو تركيا وهو ضعيف أصلا ؟ وستصبح القوات الأمريكية معتمده بشكل شبه كامل علي الإمدادات الجوية وهو ما سيعرض الطائرات العمودية والطائرات ثابتة الأجنحة لخطر عظيم من صواريخ ارض جو الايرانيه وسيجبر الأمريكيون علي التخلي عن بعض قواعدهم بغرض دمج الموارد وستجبر أمريكا في نهاية المطاف للتفكير في الانسحاب أو التعرض لخسائر كبيره وربما يذكرنا ذلك بما حدث في فيتنام وسيتم وقف الإمدادات البترولية في الخليج بالطبع أما عبر شن هجمات صاروخية أو بعمليات مباشره ينفذها نشطاء من الشيعة الموالين لإيران أو قوات كوماندوز إيرانيه ويكون من المحتمل أيضا تعرض القوات البحرية الأمريكية العاملة في الخليج للخطر أيضا مع احتمالات بتنفيذ عمليات إرهابيه وخطف في أنحاء العالم ضد المصالح الأمريكية والحلفاء أيضا في أنحاء العالم المختلفة وربما يكون السيناريو الأكثر احتمالا أشبه بالتجربة الأمريكية التي خاضتها القوات الأمريكية في كوريا سنه ١٩٥١ عندما دخلت الصين الحرب وإذا قامت أمريكا بضربات نوويه ربما تخرج المعادلة عن نطاق التوقعات ويتعذر عندئذ تقدير الأضرار ويمكن أن ينقلب مجري التاريخ العالمي ذلك كان جزء من تحليل كوندوليزا رايس وزيره الخارجية الأمريكية السابقة ومستشاره الأمن القومي الأمريكي وبالنص الحرفي له واقف هنا متحيرا وقلمي عاجزا أيضا عن التحليل والتخيل لما يمكن أن يصيب العالم من هذا السيناريو المخيف .. أليس ذلك رداً كافياً علي تعليق احد المسئولين السياسيين العرب والملمين أيضا بالملف الاستخباراتى عندما يقولون للأمريكان محفزين أو محرضين " إن القوي لا يهدد ؟! بل يفعل ؟! " هل هذا قول حق أو حتى معقول ؟ لست ادري ؟